



# النبراس الوقاج

للخطيب والواعظ والمرشد والداعية والمقدس والموجه

وَدليل  
العالم والإحكام والجندي والطالب  
المؤلف

فضيلة الشيخ محمد عادل الشريف

خطيب المسجد الأقصى المبارك والمسجد الحسيني الكبير

مدير مؤسس دار الفقه والحديث

سنة ١٣٩٤ هـ وفق ١٩٧٤ م

# للهدية



إلى الأعز والأحب من اللفت في الحياة ، إلى محقق كبري  
وساعي وعضدي ولا يحصى إلى الشيخين (الحامدين  
للديار) وإلى عبد السلام ومحمد أمين وإلى المحي والمحيين  
والفاضل الشيخ محمد عز

إلى هؤلاء الثلاثة الشهداء الله برهم  
لهذا الهدية لأنهم من الله جل وعلا  
شرف الدعوة في رسالة الهدية  
وشرف فضيلة القبر الخليل  
عليها أكره وبالله  
والاستغفار.

نأمل في الوجود بعين فكر  
وحن فيها جميعا سوف نفنى  
نزل الدنيا الدنية كالخيال  
وبعني وميتة بك فؤاد الخيال

المؤلف  
محمد علال الشريف (الحسيني)

بسم الله الرحمن الرحيم

## « المبحث الأول »

قال صلى الله عليه وسلم :

(المستشار مؤتمن) (١)

الحمد لله الذي رفع منازل العلماء المصلحين ، وأعلى كلمتهم في نفوس قوم مخلصين ، والصلاة والسلام على من أبلغ فرائض هذا الدين ، وسننه ، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وعلى آله وأصحابه الذين أخرجوا للناس في أحسن تقويم ، وأرشدوا الأسم بالحجة الباهرة المقنعة ، والأسلوب الحكيم .

(رب اشرح لي صدري (٢٥) ويسر لي أمري (٢٦) ، واحلل عقدة من لساني (٢٧) يفقهوا قولي) (٢٨) (٢) .

الحمد لله ذي الفضل العظيم ، أمرنا بالتفقه في الدين ، ونهانا عن الجهل به والصلاة والسلام على رسوله القائل : ( من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ) (٣) وعلى آله وصحبه الذين استمسكوا بالعروة الوثقى ، لا انفصام لها ، فأعزهم الله يدينه القويم ، وعلى من تبعهم وسار على نهجهم السليم وورث علمهم بحق واحسان ، والعلماء ورثة الأنبياء والمرسلين وهكذا ورد عن المصلحين :

العلم ميراث النبي كذا أتى في النص والعلماء هم وراثه  
« ما خلف المختار غير حديثه فينا فذاك متاعه وأثائه »

فأكرم بهم وارثا وموروثا . وبعد ، فإن طلب الفقه والعلم في دين الله عبادات ، ومعاملات ، هو غاية الغايات ، وأشرف المعاديات ، وأجمل

(١) رواه الترمذي وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الآيات الأربع من سورة مائدة .

(٣) رواه أحمد في مستند حلق عليه من معانيه ورواه أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ما يهتم به ، وأولى ما تضرب اليه أكباد الابل ، وقد ورد في ترجيح الاشتغال بالفقه في الدين على غيره من العبادات ، والنوافل آيات وأحاديث كثيرة ، وآثار بثرية<sup>(٤)</sup> لا تحصى ولا تستقصى ، قال الله جل وعلا (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب)<sup>(٥)</sup> وقال جلّت عظمته (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)<sup>(٦)</sup> . وروى الشيخان عن معاوية رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم ، والله يعطي ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على الحق (أمر الله) ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) أي حتى تقوم الساعة . وعن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه : (فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) . وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)<sup>(٧)</sup> .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)<sup>(٨)</sup> . وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثله وزاد (لكل شيء عماد ، وعماد هذا الدين الفقه ، وما عبد الله بأفضل من فقه في الدين)<sup>(٩)</sup> وورد في فضل العلم أيضا (كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه ، وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه)<sup>(١٠)</sup> .

بيان ذلك أن كثيرا من الناس من يدهن ، ويتطلي بقشور من العلم لا لباب لها ، صورة مرتبة أمام الناس ، فيدعي العلم ، ويتصدر للفتيا ،

(٤) البثر الكثير . يقال كثير بثر .

(٥) آية ٩ من سورة الزمر .

(٦) آية ١١ من سورة الحديد .

(٧) رواه البيهقي ومسلم .

(٨) رواه القرطبي .

(٩) (١٠) راجع كتب جامع بيان العلم وقضاه .

وليس أهلاً لذلك ، وعندما ينادي بلقب العالم ، أو يا فضيلة فلان ، ويوصف بالعلم والمعرفة ، يكون فرحاً مرتاحاً طرباً جذلاً ، وهذا هو الجهل المركب بعينه ، لا من قبيل الجهل البسيط . وكثير من الناس من يكون جاهلاً بالفعل ، فإذا ما قلت له : يا جاهل ! ثار عليك ، وغضب ، وتبرأ من الجهل الذي نسب إليه ، وهو يعلم نفسه أنه جاهل ، وهذا هو الجهل البسيط بعينه . وعن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه (تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وقال أبو مسلم الخولاني (مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء ، إذا بدت للناس اهتدوا بها وإذا خفيت عليهم تحيروا) . وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما ، قال : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا في المسجد مجلسان : مجلس يتفقهون فيه ، ومجلس يدعوون الله ويسألونه ، فقال صلى الله عليه وسلم (كلا المجلسين إلى خير . وفي رواية (على خير) ، أما هؤلاء فيدعون الله تعالى ، وأما هؤلاء فيتعلمون ، ويفقهون الجاهل : هؤلاء أفضل ، بالتعلم أرسلت ، وفي رواية ، بالعلم أرسلت ثم قعد معهم) . وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : (مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة) . وعن عبد الرحمن بن عوف ، رضي الله عنه قال : (يسير الفقه خير من كثير العبادة) وعن عطاء ، رضي الله عنه قال : (مجالس الفقه هي مجالس الحلال والحرام كيف تشتري وتبيع ؟ وهي مجالس التعليم والارشاد والتوجيه (كيف تصلي وتصوم ؟ كيف تخرج زكاة مالك ؟ كيف تحج ؟ وكيف تؤدي النسك ؟ كيف تتزوج وتعاهر زوجتك ؟ متى تطلق ؟ كيف صلتك بالأقربين ؟ وكيف تصاحب الناس ؟ ومن تختار لصحبتك ؟؟ كيف تصاحب ؟ ومتى تعادي ؟ ومن تعادي ؟؟ كيف تصاحب من أحب الله ووالاه ؟ وتعادي من حاد الله ورسوله وعاداه ؟ كيف تعادي من عادى دينك وأمتك ووطنك ؟؟؟ كيف تجاهد في سبيل الله لاعلاء كلمة الله ؟ ومتى يكون ذلك ؟ . عن أبي الدرداء رضي الله عنه : (ما نحن ومن نحن



لولا كلام الفقهاء ، ولولا جهودهم) ؟؟ - وعن أبي ذر ، وأبي هريرة ، رضي الله عنهما ، قال : (باب من العلم يتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوع)<sup>(١١)</sup> . وقالوا رضي الله عنهما : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : (إذا جاء الموت طالب العلم وهو على تلك الحال مات وهو شهيد)<sup>(١٢)</sup> والذي ورد عن سيد البشر ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (يشفع يوم القيامة الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء) وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : (لأن أعلم بابا من العلم في أمر أو نهى أحب إلي من سبعين غزوة في سبيل الله) ، فالعلم أفضل من الجهاد في سبيل الله ، والحيج للنساء جهاد لا قتال فيه ، لكن متى دهم العدو بلاد الاسلام ، فقد أصبح الجهاد فرض عين على الكبير والصغير ، والحاكم والمحكوم ، والذكر والأنثى ، والعالم والجاهل خشية أن يحتل بيضة الاسلام . وهأنذا ترى ماذا حل بالمسلمين لتركهم الجهاد ، إذ يقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : (ما ترك قوم الجهاد الا ذلوا) ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه (مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة) . وعن الحسن البصري سيد التابعين ، رضي الله عنه ، قال : (لأن اتعلم بابا من العلم فأعلم مسلما أحب إلي من أن تكون لي الدنيا كلها في سبيل الله تعالى) . وعن يحيى بن كثير : (دراسة العلم صلاة نافلة) وعن سفيان الثوري ، والامام الشافعي ، رضي الله عنهما : (ليس شيء بعد القرائن أفضل عند الله من طلب العلم والفقه في دين الله) . وعن الامام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، وقد قيل له : أي شيء أحب إليك ؟ قال : (اجلس بالليل أنسخ أو أصلي تطوعا) ، قال فنسخك مسألة تعلم بها أمر دينك أحب إلي من أن أصلي تطوعا لا أعرف ما أصلي) . وعن مكحول ، والزهري رضي الله عنهما (ما عند الله بأفضل من الفقه أو بمثل الفقه) . وعن سعيد بن المسيب ، رضي الله عنه ، قال : (ليست عبادة بالصوم والصلاة ، ولكن بالفقه في دين الله) ، وعن اسحق بن

(١١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

(١٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

عبد الله بن أبي قروة : (أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم ، وأهل الفقه ، وأهل الجهاد في سبيل الله لأعلاء كلمة الله (ولا يقوم جهاد إلا على أساس من العلم) - فالعلماء والفقهاء دلوا الناس على ما جاءت به الرسل ، وأهل الجهاد والحق جاهدوا على ما جاءت به الرسل .

فهذه نبذة بسيطة في ترجيح الاشتغال بالفقه والعلم على العبادة . وهذا بعض ما ورد في فضل الاشتغال بالعلم والفقه ، مع بيان المزايا الواردة في ذلك .

ما جاء في بعض الآثار عن قادة العلم المشهورين بالعطف عن السلف رضي الله عنهم :

(ينجم<sup>(١٢)</sup> عن العلم الشرف وإن كان صاحبه دينياً ، ويتجم عنه المروءة وإن كان صاحبه مهيناً ، والقرب وإن كان صاحبه مقصاً ، والغنى وإن كان فقيراً ، والنبل وإن كان حقيراً ، والمهابة وإن كان خفياً ، وضيماً ، والسلامة وإن كان مفيهاً ، (كل ذلك إذا تحققت صفة العلم في حامله) .

أما التفني بالألفاظ البعيدة عن مرامي العلم ومقاصده ، فليست من العلم في شيء . وفي الخير (لا تطرحوا الدر تحت أرجل الخنازير ، ولا تضعوا الحكم في غير أهلها فتظلموهم) . وورد في الحديث (لا تعلموا أولاد السفلة ، بفتح السين وتشديد ها وكسر الفاء ، يعني لا تعلموا العلم أبناء الأدنياء والسقاط من الناس . وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى أنه قال (كيف بكم إذا كان العلم في رذالتكم (أي سفلة) الناس والفاحشة في كباركم والمملك في صغاركم)<sup>(١٤)</sup> .

(١٢) تجم اتسم ، ظهر وطلع بابه مثل يقال تجم السن والقرن والبيت إذا طلعت .

(١٤) أرجع إلى كتاب جامع بيان العلم وفضله وكتاب من أخلاق العلماء وكتاب من صبر العلماء .

وقال الامام الشافعي القرشي ، رضي الله عنه : ( العلم أفضل من صلاة النافلة ) - وقال : ( من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه العلم ) - يعني من أراد ظهورا وتقدما فعليه بطلب العلم . والظهور والترفع على الناس مذموم شرعا لقوله صلى الله عليه وسلم ( لا يدخل الجنة من كان في قلبه خردلة من كبر ) وفي رواية ذرة من كبر - ومن عرف قدره لم يتعد طوره -

فألريح تحطم ان هبت عواصفها درج الثمار وينجو الشيخ والرتم (١٥)

يعني أن الانسان اذا تعالى على عباد الله قصمه الله ، إذ أن هبوب الرياح لا يؤثر ولا يقصف الا الأشجار الباسقة العالية . وقال الامام الشافعي نفسه ( ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم ) - وقال رضي الله عنه أيضا : ( من لا يحب العلم والفقه فلا خير فيه ) -

العلم مروءة من لا مروءة له وأدب من لا أدب له ( من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن تعلم الفقه نبه قدره ، ومن لم يعمل بما علم ، ولم يصن نفسه لم ينفعه علمه ، ولذا قيل :

علم العلم من أتاك لعلم	واغتنم ما حييت منه الدمام
وليكن عندك الفنى اذا —	ما طلب العلم والفقر سواء

وقيل :

ما الفخر الا لأهل العلم أنهموا	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء

هناك من يستخف بالفقه والفقهاء ، ويعيب عليهم التفقه في الدين ، فقل في حقه :

(١٥) الرتم نوح من النبات القصير والجمع رتم - قال (شلمر) : كثرة ما ترمى وعقود الرتم  
 حل يفسد اليوم وقد هبت بهم



عاب التفقه قوم لا عقول لهم  
وما عليه اذا عابوه من ضرر  
ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة  
ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وهنا أسوق للقارئ بعض الأحاديث ، والحكم في فضل العلم ،  
والتفقه في الدين ، ليكون عملك مرتكزا على ميزان الشريعة ، أما إذا  
كنت تعمل بلا علم ، فأنت كحاطب ليل ، وكالراقم على الماء ، والذي  
يريد الاحتطاب في الليل لا يجد طلبته ، والذي يريد أن يكتب مسألة ما  
على الماء فلا يستطيع ، وكالتافخ في غير فحم ، والذي يعبد ربه على غير  
فقه ، فهو ثاو في ظلام دامس ، وليلة حالكة ، لا يدرى الى أين يسير!!!  
قلو أغفل العلماء الأخبار ، وتمييز الآثار ، وتركوا حجة كل نوع الى  
بابه ، وكل شكل من العلم الى شكله لبطلت الحكم ، وضاع العلم ،  
ودرس .

ان الله سبحانه يجعل لهذا الدين قوما وان قلوا ، يحفظون على  
الأمة أصوله ، وأصول الدين عقائده التي يرتكز عليها ، ويميزون  
فروعه . وفروعه هي الأحكام الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة ،  
فضلا من الله ونعمة ، ولا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم منه  
الآخر ، فان ذهاب العلم بذهاب العلماء ، كما قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : ( ان الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ،  
ولكن يقبض العلم يقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس  
رؤوسا جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ) (١٦) . هذا ،  
وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ( انكم أصبحتم في  
زمان ، كثير فقهاؤه ، قليل خطبائه ، قليل سائلوه ، كثير معطوه ، العبل

(١٦) رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما .

فيه خير من العلم ، وسيأتي على الناس زمان ، قليل فقهاؤه ، كثير خطبائهم ، قليل معطوهم ، كثير سائلوهم ، العلم فيه خير من العمل ) . وقال عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه : ( من عمل في غير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه ) . وعن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه : ( الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ما كان فيها من ذكر الله ، وأوى إلى ذكره ، والعالم والمتعلم شريكان في الأجر ، وفي رواية ( في الخير ) وسائر الناس ( أي باقيهم ) همج لا خير فيه ) . هكذا رواه عبد الملك بن حبيب المصيصي ، عن ابن المبارك ، عن ثور ، عن خالد بن معدان ، من قول أبي الدرداء ، وفي رواية ، وسند آخر مثله بزيادة بصيغة الجمع بدلا من صيغة الأفراد ( لا خير فيهم ) . وروي عن علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، قال : ( الناس ثلاث ( أي ثلاث فرق ) فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ( والخلاف معلوم في النسبة إلى رب هل يقال : رباني أو ربي وقد جاء باللفظين ) ومتعلم على سبيل نجاة ، والباقي همج رعاع أتباع كل ناعق . والناعق هو الذي يتزعم الناس بقول يبهر به صائحا . ومن عادة الناس أن يتبعوا كل صائح ، ولو كان على خطأ ، وهذا ما أضر بمصلحة أمتنا اليوم ، حيث لا يفرقون بين الفث وبين السمين . وقال أبو الدرداء ، رضي الله عنه ، من رأى الغدو والرواح إلى العلم ليس بجهد فقد نقص عقله ، وتعطل تفكيره ورأيه ) . وقد روي عنه هذا بسند قوي : ( ما من أحد يقدو إلى المسجد لخير يتعلمه أو يعلمه ، إلا كتب له أجر مجاهد لا ينقلب إلا غانما ) .

وفي حديث طويل بسند قوي ، عن زر بن حبیش ، قال : ( رأيت صفوان بن عسال المرادي فقال : ما جاء بك ؟ قلت : ابتغاء العلم ، قال : فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : ( من خرج من بيته ابتغاء العلم ، وضعت الملائكة أجنتها رضا بما يصنع ) . رواه الترمذي ، وصححه ابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في

مسند كره وقال صحيح الإسناد وجاء في رواية عن أبي يعقوب  
 الصيدلاسي المكي مسند قوي عن عبد الله بن الحراث بن جوع ، أنه  
 سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول ( من عفته في دين الله كساه  
 الله همة ورزقه من حيث لا يحتسب ) •

وما أحمل ما قاله الشافعي رحمه الله حول بث العلم ، ونشده في غير  
 محله ولغير أهله :

أنتشر درا بين سائمة النعم  
 أم انظمه نظما لمهله النعم  
 ألم ثرني ضيعت في شر بلدة  
 فلست مضيعا بينهم درر الكلم  
 فان يشفني الرحمن من طول ما أرى  
 وصادفت أهلا للعسوم والحكم  
 بثت مفيدا واستفدت ودادهم  
 والا فمغزون لـدي ومكتهم

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( كن عالما ، أو  
 ستعلما ، أو محبا ، أو مستمعا ، ولا تكن الخامسة فتهلك ، والخامسة :  
 وهي الصفة الخامسة للمسلم ، ألا تكون مبعضا للعلماء لأن بعض  
 العلماء العاصين وسيلة إلى الهلاك ، وأعني بالعلماء العاصين الذين  
 يصدق عليهم قوله تعالى ( كذلك اما يحشى الله من عباده العلماء ان الله  
 عزيز غفور ) (١٧) • وفي رواية ، أن الصفة الخامسة هي التحدث  
 الجاهل أي لا تكن جاهلا فتخسر الدنيا والآخرة •

(١٧) سورة فاطر آية ٢٨ •

## ما هو واجب من لديه العلم ؟ :

هناك سند طويل فيه رواية قوية ، بسند قوي ، عن كثير من مرة الحضرمي أنه قال لأحد مائليه (ان عليك في علمك حقا ، ألا تبذره في وجه غير مشروع ولا مقبول ، كما أن عليك حقا في علمك ، وهو ألا تحدث به غير أهله فتجهل ، ولا تمتع العلم أهله فتأثم ، ولا تحدث بالعلم عند السفهاء فيكذبوك ، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك ، كما قيل :

إذا حملت الى سعيه حكمة فلقط حملت بضاعة لا تنفق

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال (واضع العلم في غير أهله كمثل الخنازير اللؤلؤ والذهب) • يروي لنا التاريخ بأنه كان فريق من العلماء ، ومنهم عبد الله بن مالك الأندلسي ، صاحب الألفية ، ينادي على أبواب المسجد ، ليعلم الناس ، ويفقههم ، ويرشدهم ، ونهيك بابن مالك فضلا ، وعلمنا ومنزلة ، وقدرنا ، أجل كان يقف بعد صلاة النهار ، أو بعد صلاة الليل ، ويقول : هل من راغب في العلم ؟ هل من سائل في طلبه ؟ هل من محب في اهتمام الملائكة به لدخول الجنة ؟ ورد في الحديث بأن طالب العلم اذا جاءه أجله وهو يطلب العلم مات شهيدا • )

لكن بعض طلابه قال يا سيدي لا تطرح علمك بين أرجل من لا يفقهون • أنظر الى مكانة العلم والعلماء وما ورد في فضله والمحافظة على كرامة العلم والعلماء •

في كتاب كشف الخفاء وفريد اللسان ما يلي (العلم يسعى اليه) قال الامام مالك رضي الله عنه قال في المقاصد (هو معنى قول الامام مالك (العلم أولى أن يوقر ويؤتى) •

قاله مالك لشيخه العباسي حين استدعى به لولديه ليعلماه منه  
 ويروى بسط (العلم يور ولا يور ويوتي ولا يأتي) وان سلك قل  
 لهور الرئيس حين استدعاه ليعطيه في مقفه وفي لسط أنه قل له  
 (أدركت أهل العلم يؤتون ولا ياتون) ثم قال له يا أمير المؤمنين ومنكم  
 خرج العلم وأنتم أولى الناس بأعظام<sup>(١٨)</sup> العلم ومن أعطاكم له إلا  
 تدعوا حملته على أبوابكم) \*

وقال مالك لشيخه حين التمس منه حلوه خاصة للقرعة ان العلم  
 يا أمير المؤمنين اذا مع من العامة لاجل الخاصة لم تسع به الخاصة \*

وذكر ذلك كنه القاصي عباس في كتابه المذكر في ترجمة الامم  
 مالك ونقل عن البخاري انه قال (لعلم يوتي ولا يأتي) \*

### « الدعوة والارشاد »

ديب هذا يبحث عن العلل التي أصابت الأمم الإسلامية . وقعدت  
 بها في حمول ودهول حتى ضربت عليها الدول الاستعمارية سلاطانها  
 العاشم كان من نتيجة التفكر والبحث أسباب شتى ، اما اذا ما تدبرنا  
 هذه الأسباب وجدنا أنور الأسباب منها يرجع الى نهال هذه الأمم  
 سعاليم الشريعة المراء ، ونقص أيديهم من المشاريع الحيوية التي  
 عهدت اليهم يقوموا بها على رجهها الأكمل ، فصنعوا والعلة في  
 ضعفهم ، ونقاعسهم ، وقلة اقبالهم على ما أرشد اليه القرآن من  
 وجوه الاصلاح ، ووسائل القوة والمعة والعزة ، انما هي تقصيرهم في  
 النوعية ، وعدم التواصل بالحق ، والتواصي بالصبر الذي هو عصب  
 الحياة ، واكسرها<sup>(١٩)</sup> الحالص ، بل هي عدم استقامة زعمائهم على  
 طريقة الدعوة والارشاد ، ليصل الانسان الى قمة المجد والفخار ، وعلى

(١٨) حرمة وتقديره امة نبوة امة اقدالك اما يحشى احد من عباده المخلوق  
 وان تصب أي يظفهم ودمعهم ومقرهم منه والتعظيم التبيجل والتفخيم \*

(١٩) اكسير لسيه حافظة وحلاصة والاكبر مادة مركبة تحول المعدن الرخيص الى ذهب هكذا كانوا  
 يظنون \*



هذا فالاصلاح لا يتأتى للبشرية الا اذا كان تابعا من صميم القلب  
من صميم الشريعة الحققة ، والدأب على اصلاح أفراد معدودة ، لا يعكس  
أن يهض بالامة ، ولا بمجتمعاتها الا اذا كان الاصلاح عاما شاملا من  
القاعدة الى القمة •

هذا ما استثار همتي ، وهذا ما دعاني أن اخذ بعنان القلم بجره  
الى البحث في مشروع الدعوة الى اصلاح المجتمع المفكك العرى ، المقطع  
الأوصال ، لعله يبسط من حقائقه وأدابه جملا كافية ، ويملك بتأييد  
الله زمامه •

### حاجتنا الى دعوة وتوعية :

في فطرة (٢٠) الانسان قوة يعقل بها طرق الصلاح والفساد ، ويمقه  
بها الحق من الباطل ، وملكة يقتدر بها على التمييز بما يجول في نفسه  
ويدور في خلد ، ولكن هذه القوة العاقلة ، لا تستقل وحدها بتمييز  
الغث من السمين ، ولا بتمييز المعروف من المنكر ، وليس من شأن هذه  
القوة أن تصلح على كل حقيقة ، ولا أن تدبر أعمال البشر على نطم  
لا عوج فيه ، فانها وان بلغت في الادراك ما بلغت فقد تنبو عن الحق ،  
ويعرب عنها وجه المصلحة ، ولا تهتدى الى عاقبة العمل ، وربما ألفت  
على الحسنة نظرة عجي فتحسها سيئة ، وقد يتراءى لها الشر في ثوب  
من الخير فتتلقاه بالقبول •

لقد تصدى رجال من أصحاب هذه القوى العاقلة للبحث في نشأة  
الخليقة (٢١) ، فكانت عاقبة أمرهم ، ونتيجة بحثهم أن خروا سجدا  
للأحجار ، أو الكواكب ، أو الحيوان ، تصدى آخرون لانشاء نظم  
اجتماعية ، فوضعوا ما يذهب بالجماعة في غير طريق ، ويكبو بها في

(٢٠) نظره الخلقه تكسر الخاء •

(٢١) حسنة الخلاق يقال هم خلقه الله وهم حسن الله •

حساب وأمثله هؤلاء مشهوره جدا . مصه ونة في كتب التاريخ  
 قديما وليس القانون انه في سبع المتاتله الشخصة (المباررة) الا صرع  
 نفس عريضة في الهجعة وويده فكرة غير امساية . وليس القانون  
 الذي بساعت امتيت على ارافه ساء الحيات والعرة من وحوهه  
 والره في صيدة أعراضه الا وليد عباوة اصصة ونفس حنت بها  
 الشهوات من كل صرب . أراد ذو عقل حصيف . ويفكر رصين . وهو  
 الحجاج بن يوسف - معافاة شخص على حريمه ارنكها نفس دوي  
 قرأته . فدافع عن نفسه بقوله تعالى (ولا سر وارره ورر أخرى) (٢٢)  
 فما كان من الحجاج الا ان اسدع للامة وارموى عن ابقاع العقوبة  
 ه .

إذا وقف صاحب الفؤاد العاقله على وجه البحر أو البحر فقد يساوره  
 الغضب أو تسيطر عليه اللذة فيترك الصالح أو يأتي المكاره . ولا  
 يبالي بما يوقعه فيه التهاون بالصالحات . أو ارتكاب المكرات من شقاء  
 سعيد . وقت تخلص المموس من تخبط المصعب . أو ثورة الدنس . أو  
 أسر الشهوات ثم لا يستطيع أصحابها القيام . دون أن ينشأ بينهم  
 نزاع . فان المدارك تتفاوت اما بحسب عطرته . واما بالنظر الى  
 استعدادها المكتسب من التجارب (٢٣) فتري الرجل يستحسن عين ما  
 يستقبه غيره . بل النفس الواحدة قد يبدو لها الأمر حسا في حال  
 آخر . فان لم يوافق غرضها في وقت آخر انقلب في رأيها شيئا نكرا .  
 وكثيرا ما يشتمل الأمر في الواقع وجهه الاثم والمنفعة . فرب أحداهم  
 جلب سمعته فيسعى في تقريره . ويرغب آخر في ذمه مفسدته فيلوي (٢٤)  
 عنه صفحا ه .

(٢٢) آية ١٦٤ الانعام ه

(٢٣) انجذب بغير امر - لا بغضا ولا اثم التجربة نفسا تكبر الرأ من جميع التجارب كجميع المساجد

ولا يقال تجارب بالضم كما أسسها من كثير من المتعلمين ه

(٢٤) يقال لوى رأسه وراسه كناية عن الاعراض وعم الاهتمام ه

ربما يشاهد الانسان حادثة ما تنزل بعيره فيقضي عليه برأي ،  
ولو عرضت في نفسه ، وأدرك مقدار تأثيرها ، لعاد الى الحكم عليها  
بأشد وأقصى مما قضى به أولا أو أدنى .

ولما كانت الأنظار تقصر ، والأهواء تتغلب ، والعقول تتفاوت  
وتختلف ، اشتدت حاجة الناس الى مصلح الهي ، يعلق نفوسهم من قيود  
الأوهام ، ويهديهم سواء السبيل الى فضاء نور الهداية ، الى ما فيه  
خيرهم واسعادهم ، وينذرهم عاقبة الانهماك والتوغل في الشهوات  
والذائد ، ويعلمهم كيف يتحامون الفتنة ، ويصلون الى الحقيقة ، اذا  
ما اختلفوا .

هذا وجه من حكمة بعثة المرسلين ، عليهم الصلاة والسلام ،  
وصمودهم بالناس الى مراقبي السعادة واقامتهم القضاء على أسس  
عادلة ، فبهذه الدعوة الالهية لبست النفوس أدبا ضافيا صافيا ، وأخذ  
الاجماع سنة منتظمة ، وبصرت العقول بحقائق كانت غامضة ، واذا  
كان للشرائع السماوية مزية تقويم النفوس ، وانارة البصائر كما  
قيل :

صلاح أملك للأخلاق مرجعه يقوم النفس بالأخلاق تستقيم

ومرية فتح طرق الحكم فان نصيب الاسلام من هذه المزية أوفر  
وأجلى .

وما روح الناس - بعد انطواء عهد التوبة - في حاجة الى وارثيهم  
ونصبيهم وتلاميذهم ، في حاجة الى من يعلمهم اذا ما جهلوا ، ويذكرهم  
اذا ما نسوا ، ويجادلهم اذا ضلوا ، ويكف بأسهم اذا استبدوا ، واذا  
سهل على الداعية أن يعلم الجاهل ، ويذكر الناسي ، فان جدال الضال ،  
وكف بأس المضل لا يستطيعهما ولا يقوى عليهما إلا ذو بصيرة ،

وبورهم وحكمهم وملائة وبيان أجل وما ربح العصور تند من الصالح والمصلتين المعدين ، المصين والمأوئين المجدعين ، الذين لم تعجبهم دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا رسالته ولم نقبهم عقولهم ، حتى ولا من ورثته ولا رآل الحاحدون يذكرون رسالات السعاء ورسالات المرسمين الاولين ، وما عابوه وما أصابهم في سبيل ايقاظ الصعاب من عقلايتها لا يبال هؤلاء المعادون يحاولون اثارة العثر واطلاق النفوس من قيد الأدب والعقائد ، وفي كل عصر لا يفتقد هؤلاء أولى بزم أيديهم<sup>٢٥</sup> أولى بزمان واحلاص بقوعوبهم بالحجة ويهذبون السار من مكانهم شرهق باطلهم وشرهق وجوههم قسره الغيبة والغدلان .

ولا يسر أيها المسلم أن المصلتين المعادعين في هذا العصر قد تهيأ لهم من وسائل الداية مالم يتهيأ لأسلافهم العارفين الداهيين ، فمن مواد بحث وصحف بشر وحمميات بمقد وأسوال بدعق ، وجاء بديل وولاه تماليء ونسب ، وهذا ما يحمل الدعوة الرشيدة من الفصل الواجبات وأحمد المساعي وهذا ما يقصي حكماء الأمة وهدر هوها<sup>٢٦</sup> وحداقتها نار بعدوا للدعوة مما استطاعوا من قوة ، ومن قساة الأقلام ما يمكنهم من كسب شركة هذه النفوس المتعجرفة ، المتعاضمة ، والآراء الفاسدة المماعة والمحشوة بالعواية والشهوات ، قبل أن تبغ عايتها ، وأميتها ، وقبل أن ينمو ويتكامل نباتها ، وأما دوهنت بسبب الجهل ، وعدم صفاء البصرة فوضعت بجانب حقائق الاسلام ما يشرأ ويتصل منه الاسلام ومن أيدي هؤلاء طهرت البدع ، ومن أسنتهم هبطت المراغم والخرافات ، ومن آرائهم دخل في الكتب والسنة ما ليس منهما ، بل ألصق بهما صرب من سوء التأويل . ولا جرم أن حاجتنا الى تقويم أصعاب هذه البدع لا تقل عن حاجتنا الى

٢٥ ، نفس هوية حردح به كسبه واية مسند اباء

٢٦ ، حارة حردق ، نفس ، بعض وحداقتها على (فار هوها) عطف بضم - هارية - هاء ، أي حردق

انسقاذ النفوس الزاكية من الوقوع في حياثل شياطين أولئك الذين  
يصنون عن سبيل الحياة القويمة الطيبة ، ويبقونها عوفا \*

إدأ ما القصد من هذه المقدمة ؟؟

الجواب : الدعوة \*

دأ فما هي هذه الدعوة في نظر التشريع الاسلامي للدعوة تعاريف  
كثيرة ، واثار مشهورة في حالة اطلاع هذا اللفظ ، ولكن الدعوة في مقام  
الوعظ والارشاد لها الأثر الكبير في فلاح الأمم ، وتسابقها في مضمار  
الحياة الراهرة ، وهذا ما يجعلها في المكانة السامية في نظر الشارع  
لحكيم ، ولقد ألقى عليها الاسلام عناية شديدة ، وبسط عيها رواقه ،  
فعهد الى الأمة بأن تقوم طائفة منها على الدعاء الى الخير ، واسداء  
النصيحة للأفراد والجماعات ، قال حلت حكمته (ولتكن منكم أمة يدعون  
الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم  
المصبحون) (٢٦) \*

فالآية ناطقة بأن الدعاء الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن  
المنكر ، فريضة ملقاة على رقاب الأمة عامة ، لا تخلص من عهدتها حتى  
تؤديها طائفة على السحو الذي هو ابلع أثرا في استجابة الدعوة ،  
وامثال الأوامر ، واجتناب النواهي - والدعوة الى الخير هي فرص  
كفاية كسائر فروض الكفاية ، وقد يتعين على ذوي العلم والمعرفة  
العالمين بحقيقته \*

أجل الدعوة فرص من فروض الكفاية يوجه خطبها الى الأمة  
بقصد افهامهم واعلامهم - ومباطئ التكليف والالزام اما هو طائفة  
يتفق أهل الحل والعقد على تعيينها ، أو تتقدم اليه من تلقاء نفسها \*



## الامعة :

والصفت ان يختص بعض الخاصة والاعلام ، بموجهاً فبما يرى من الامعة (القدريين على النديم ، خاصة) وهؤلاء هم الذين يحق عليهم كللة اعداد ، حيث لا يهضم في طائفة منهم ، فلا جناح على من لا يستطيع الدعوة الى خير او الدواعي من حق راى تحت المستطيعون اليه سبلاً وبوابة في غير سبيل اذ هو ، جهوا معروفاً او ركوا منحرا ، واهل طائفة يدعوهم او تاتمهم او سهاهم بأسلوب ليس من شأنه الدعة على اعدائهم ليست هذه اذ خصه بمرسة في أعين عوس اسباب الاحد ، يدعوهم ورسالةهم ، يعطيه على الطرار الذي تألفه يسور المطابقة اسبي ، حاورونها وليس الفرة على الدعوة في قوني لوجه والسر وحدهما ما لا يراى ، وهو سمع كل ما تشوقه عليه ، قادة الدعوة كوسا ، من ها ، سمحيلها ، وسميتها في بنته سميت فيها سوق الفسوق او حقت فيها ربيع الانجاد ، فهذه الفئة اوعر الذين ، ما عا ، ابراهم ، وعبر أدب ، قد ملكت لشر باطلها وسابل اهمها الانفاق ، وادا وجب على الامة ان يميل ادى هذه الدعاية عن صريقها ، فحطاب هذا الواجب ، موجه الى الخطباء والكتاب والأدباء ، والمصلحاء ، ثم الى كل من له شيء من القدرة على البدل ، والتصحیح في سبيل الدعوة ، كمنع مواد علمية دوات أجهزة عاملة ونعوس خبره ، مومة ، لالقاء المعاصرات ، واشياء صحافة أو مساعدة محلات دينيه علميه صالحة ، وصحف ، كإفحة من اجل الدعوة ، تطهر وتساعد الدعوة ، بإخلاص ، وتقوم على احباط كل محاولة ، أو أي تدبير أو كيد يمس كرامة الدعوة ، أو يضعف سلطانها .

### « منزلة الدعاة عند الله »

هذا كتاب الله بعد أن تصدقنا مواعظه ، وهداياته ، وارشاداته ، وحكمه ، وأحكامه أليينا<sup>(٢٧)</sup> ، يرفع منزلة القائمين على حطة الوعظ

والارشاد ، ومن آياته المحكمات قوله تعالى ( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) (٢٨) .

فهأنت ذا ترى أن الآية توميء الى أن المخاطبين بهد يفصلون على سائر الأمم ، وانما نالوا هذه الأفضلية بمزية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والايان بالله ، ومن يرمل عبان النظر فيما يتجشمه الامرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر من أخطار ، وما يلاقونه من أذى ثم لا يلبثون اعنتهم (٢٩) الى راحة ، ولا يحملون أنفسهم على مصانعة أو اعصاء يعرف أن هنالك بصائر ساحقة وعزائم متوقدة ، وهمب يسخط أمدما كل عظيم - أفلا يكون الامرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر خير أمة أخرجت للناس ؟؟؟

لقد نوه التميزل بشأن المصلحين والهداة والمرشدين ، ثم ألحى باللائمة باللعنة على من آتاهم الله اعلم والحكمة ، ولا يبسطون ألسنتهم ببيانها ، فقال تعالى ( ان الدين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ) (٣٠) .

فالآية نزلت في وصف حال فريق من غير المسلمين ، ولكن حكمهم - وهو استحقاق اللعن - لا يقف عند حدهم ، بل يسري حكمه على كل من حمل الرسالة السماوية من لدن رحمة ، أو قبض قبضة من أثر هدايته ، ثم أمسك عن تأديتها وبيانها ، والناس في جهالة أو حيرة يتحبطون - وكذلك يقول علماء الأصول : ان مقتبس الأحكام من الايات لا يقتصر على سبب نزولها بل يعشي في تقرير معانيها على قدر ما يسعه عموم لفظها - واعلم يا أخي حامل رسالتك - أن الحقائق التي

٢٨ الآية ١١ آل عمران -

٢٩ مفردها عبان والعبان للقرى معنى ذلك تشبيه ملائي -

٣٠ آية ١٥٩ البقرة -

لا يسوع كسبه هه هي - يعني - عن العالم هه - في صحته عقاد و  
 اب نفسي او اسفمه مثل - كتاب من قبل - فهو من منح  
 الحسم <sup>٢١</sup> فلا مدح عنه في احكامها <sup>٢٢</sup> ع - بيدها حكى الشيخ ابن  
 عرفة في درس نفسيه بسما كان خالفا في سره انه دخل على سيحه  
 ابن الحباب وحمل بغير في كتبه تسعة اى مع تسعة من اكل و اتماء  
 لنظر فيها أي في كتبه فقال السبع للنبه للشيخ أن يمتار عن طلبة  
 زيادات لا يضرهم به - نعم ورد في مكان آخر أن هناك نصا ودليلا بما  
 عباد من انه من نظر في كتابه أحد بعد - وبه المناسبة يؤسفي  
 أن ذكر لكم ما عن <sup>٢٣</sup> لي - مع كل هذا مع كث من الاموة والأصدقاء  
 معمد - عرفة عدته محصورة وهو جالس بحسه يسي الى المكتبة  
 ويحده منها ما ارد دور الدن من صاغة المكتبة - بعد - انه كبر الدعة  
 الى بخاصه من الناس ولكن الماله رجحه الى الوق - سبحا الله حبيب  
 سب بعدر ما - وقد شكا الي كتبه من الاخوة من هذه الساحة المؤثرة -

١٤٤٠ بعض الناس لعنه اي ذكر الصديق رضي الله عنه الى قوله  
 تعالى (عليكم أنفسكم لا تصرفكم من صل اذا اهتد بهم) <sup>٢٤</sup> . فتأولوه  
 رجحه على غير صواب ولما علم الصديق عنهم ذلك قام في الناس خطيب  
 وقال : انكم يراؤره هذه الآية (يا ايها الذين امنوا عليكم أنفسكم)  
 وتصومونها في غير موضعها - وأرأونها تاروا غير مصيب - وبني سمعت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الناس اذا رأوا منكرا ، ولم  
 ينكروه ، وفي رواية اذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يده يوشك أن  
 يعذبهم الله بعقاب من عنده <sup>(٢٥)</sup> .

٢١ - منح نفسي من دن طرف سها - ع - فهو ملح الملح به - مع منح - واحدا في  
 ما أحضر منها وكان سارا .

٢٢ - احتكارها جميعا .

٢٣ - خطب مباني .

٢٤ - سورة ثلاثة الآية ١٠٠ .

٢٥ - رواه أبو داود .

ولم ينتقطع أثر ذلك التأويل العاطلي ، فظل في أو هام بعض العامة إلى هذا العهد . حتى إذا أمرت أحد هؤلاء بمعروف أو نهيته عن مسكر ألقى عليك الآية (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل) كالمستشهد بها على صحة قوله وعلى أنك قد تخطيت حدك وألقيت أمرك أو نهيك على عواهنه ورميت بكلامك في فضول .

ومنهم من يتلوها على قصد الاعتزاز وتبرئة جانبه من اللائمة متى شهد منكرا ولم يعيره بيده أو لسانه ، أو قلبه الذي من أماراته تعيره ، البعد عن مكان الواقعة المنكرة .

وسمى الآية التي تطابق به غيرها من الآيات ، الأمرة بالدعوة : انكم إذا استقمتم كما أمرتم ، وقضيتم الواجبات التي من جمعتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يضركم من اشتد به هواء وتطوح به في واد من الخواية (٣٦) .

ولا تقدر الدعوة الواجبة بعدد ، أو توزن بميزان ، أو تقدر بقدر من الزمن إذا قصاه الداعي بريئا من عهدتها وانما يرجع في إبطالها واستثنائها مرة بعد أخرى إلى اختها والداعي رجاؤه في تأثيرها وأحدها في نفوس المدعويين مأخذ القبول .

وإذا دعا العالم طائفة إلى إصلاح شأن من شؤونهم ، فعتوا عن أمره واستكسروا عن اجابة دعوته ، حتى آيس من أقبالهم على نصيحته ، واستيقن عدم الفائدة من تذكيرهم ، خلصت ذمته ، ولا جناح عليه أن يقف عند هذه العماية وحمل بعض المفسرين مفهوم الشرط في قوله تعالى (فذكر ان تفتت الذكرى) (٣٧) على مثل هذه الحالة .

(٣٦) المي الضلال والخيبة وقد غوى مغوي غيا وبواة اذا غل .

(٣٧) الآية ٩ الأعلى .





## أنواع الدعوة

### النوع الأول

الدعوة نوعان . دعوة يقصد بها انقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع ، ودعوة يقصد بها تحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه . أما الأولى فيتحتتم القيام بها لأول وقت ممكن ، ويشير الى هذا الواجب قوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين)<sup>(٤١)</sup> فقوله «من أقصى المدينة» اظهر ان غاية هذا الداعي ، وشدة رغبته في الاصلاح حيث لم يثنه بعد الشقة وطول المسافة عن السعي اليه مع العلم بأن رسالة الأنبياء ومن تبعهم الى قرون حلت كنت تؤدي سيرا على الأقدام وركوبا على متون الأنعام نعم للأنبياء والمرسلين حالات في امتطاء<sup>(٤٢)</sup> «السراق الشريف» الذي أعد في خدمة الأنبياء والمرسلين .

نعم لم يؤخرهم بعد المسافة عن السعي اليه والوفاء بحقه . وقوله (يسعى) تذكيرة لدعاة الاصلاح وابتغاء لهمهم كي ينفقوا في هذه الغاية وسمهم ويسارعوا الى النصيحة جهدهم . لأن السعي في لسان العرب بمعنى العدو والمشي بسرعة .

### « النوع الثاني من الدعوة »

وأما النوع الثاني من الدعوة فان كان مما يشأ عن تأخير حرج التحقق بالأمر الواقع ، ووجبت المبادرة الى الدعوة حسب الطاقة ، وان كان بينك وبين وقوعه فسحة جاز ارجاؤها وتأخيرها الى زمن الحاجة ، وما يقوله بعض أهل العلم من جواز السكوت عن العلم الى أن يسأل عنه انما يحمل على هذا النوع الذي لم يدع الحال الى معرفته في الوقت

(٤١) م ٣ ن ٢

(٤٢) انطى الحصان ركبه وقطعه انطى يمتطي .

الحاصر حكى الناصبي عياض في كتاب (المدايك) أن سحرور وصاحب  
سحرور بن يوسف وابن رشيد دخلوا على أسد بن العرات ، فسألهم عن  
مسألة فابدر لحوايه صاحبا سحرور وسكت سحرور فلما خرجوا  
قال له صاحبا لم لم تتكلم بهذا ونحن عنده ؟ فقال حشيت ، أن  
سحل عليه ونحن أصدقاء ونخرج من عنده ونحن أعداء . قال الناصبي  
عياض وسكت سحرور حين علم أن القصيدة لا يعوت أمرها ، ولو سم  
ولك لبادر .

### التعاون على القيام بالدعوة

ذكر بعض أهل العلم أن قيام الواحد بموجب الدعوة كاف  
واستدلوا على ذلك بقوله عز وجل (فلولا سر من كل فرقة منهم طائفة  
ليفسدوا في الأرض وليذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)<sup>٦٧</sup>  
وقالوا في وجه الاستشهاد : أن الطائفة في لسان العرب الواحد فما فوقه  
وهذا قول مسبقهم بالطر لا بلال الأمر والمهي . ووضح الحق بـ  
أيدي العاذلين عنه . أما من حيث فعل الدعوة في النصوص ودخولها  
مدخل الاقتناع فمن الذين بنى على أن الدعوة التي تسهم بها الجماعة  
أثرا لا تملعه دعوة الفرد وهذا ملما يرجع إلى حال المدعوين أو ما  
تتعلق به الدعوة أو ما يقصد من الدعوة .

أما الطر إلى حال المدعوين فقد يعني العدد القليل في دعوة جماعة  
تتحد وتلتقي مشاربهم وتنشأ به أحوالهم النفسية ، أما إذا اختلفت  
مشاربهم وتعددت أذواقهم ونزعاتهم فلكثرة القائمين بالدعوة وتظاهرهم  
عليها وقع في تموسهم وأخذلها من بين تلك النزعات المتباينة والمسالك  
المتشعبة ، فإن الدعوة إذا كثرت وتعددت اختلفت أساليبهم في الدعوة  
عابا ، وقد يبدو للداعي من وجوه تحسين الأمر أو التعير منه مالا  
يحظر على بال آخر ، وإن كان أعز علما وأوسع نظرا ، وقد تحض

(١٢٢) الآية ١٣٣ التوبة .

التمس لأسلوب دون أسلوب ، وتهتدي بنوع من الجدل أو الموعظة أكثر مما تهتدي بغيره ولو كان أقرب دلالة بحكم المنطق وأوضح انتاجاً .

وأما حال ما تتعلق به الدعوة فإن الارشاد الى أحكام الدين العملية — مثلاً — أيسر من اصلاح العقائد ووضع الايمان موضع الجحود بالله ، فداعي المظلمين بالايمان الى مثل الأحكام العملية انما يتنوع قرآن أو حديثاً يقصد الى نقل النفوس من ملة الى ملة ، وتحويل النفوس من عقيدة الى أخرى يبلغ من الصعوبة ان يحتاج دعائه الى من يشد أزهرهم في ابلاغ الحجة أو مطاردة الشبهة ، وكذلك سأل موسى عليه السلام ربه ان يجعل أحاه هرون شريكاً له في الرسالة والدعوة فقل (واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخى أشدد به أزري<sup>(٤٤)</sup>) وأشركه في أمري<sup>(٤٥)</sup>) وبعث عيسى عليه السلام الى أهل أنطاكية رجلين اثنين ليدعواهم الى الايمان فقابلوهما بعناد وتكذيب ، فأضاف اليهما ثالث يؤيد بعثتهما ، قال تعالى (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعمرنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون<sup>(٤٦)</sup>) .

وأما حال ما يقصد من الدعوة فانك ترى رجالاً انحرفت عن أدب الاسلام قلوبهم ، وساعدتهم الأيام على أن أصبحوا يسيطرون على بعض شعوبهم ، ويفسدون عليهم دنياهم وآخرتهم فيعتدرون على أحكام دينهم ، ويناصرون الأشخاص الذين يملأون أفواههم بالجهل على رسوله الأكرم ، فاذا كان أولئك المنحرفون عن أدب الاسلام ممن لا يقبلون على الحق بعين بصيرة ، أو لا ينقادون الى الحقائق المبصرة فلا يرجى من دعوتهم اصلاح نفوسهم فضلاً عن اصلاح غيرهم ان الأمة التي تهتدي وتستطيع بمبادئ الاسلام لا تستطيع أن تبقى أمام انحراف وتعسف الآخرين

(٤٤) الأعراف سورة الأعراف والآزور والآزور طهري .

(٤٥) الأعراف من ٢٧ - ٣٢ طه .

(٤٦) الآية ٩٤ يس .

استشهدت الأمة قديسين موصوفين عن عمت هذه الأرواح عبر السنين .  
 يفتي في دعوتهم جماعة من رعماء الأمة لا يحوم على ألسنتهم قتل ولا  
 ساق ولا يشترطون شاة هذه الحياة الدنيا ليعلم ما أو بوا من حكمة .  
 تنويطار منهم من ع و هم و و بهم أن العره لله والرسوله والمؤمنين .

أما صوت الواحد وسجوه فابدا يلقى منهم ادن . أصم ليس لا  
 يفقهون .

بعم بسب كمة الدعاء به اتعاهم وفسدهم الى اقادة المالح  
 وفسدهم . الحقيقة وفسدها . وذلك أوصى النبي صلى الله عليه وسلم  
 أ موسى لأسمري ومعار من حبل من رعمها إلى ليمس قال لهذا  
 (يسرا لا يسرا وشرا ولا تله ا وتطاولا) وهذا التمرط يشع ما  
 هذا التعبير عن الدعاة باسم (الأمة) دون (الذيم) في قوله تعالى (واكن  
 منهم أمة يساور الى اجر وانهم من المروءة) ونهون ع الماركة .  
 هم المفلحون (٤٨) .

قال القفال على قول أنه من جملة المسلمين (الأمة القوم المستمعون  
 على السيء الواحد يقتدى بعضهم ببعض . مأخوذ من الائتنام وهو  
 الوجه في ايتار التعبير به أيضا في أية (ومن قوم موسى أمة يهدون  
 بالحق وبه يعدلون) (٤٩) فان لمطة «لقوم» يطلق في اللسان العربي على  
 عدد أقل مما يطلق عليه لفظ «الأمة» وهو من هاته الجهة أنسب بدعاة  
 الإصلاح لقلة عددهم . ولفظ الأمة أليق سائر الأفراد لكثرتهم .  
 ولكنه اختير للدعاة اسم «الأمة» لأن اشعاره بمعنى اتعادهم وتسمهم  
 أقوى مما يشعر به لفظ القوم ويطلق القوم على ال حد دون النساء .

٤٨ . مك . ع . حد . مكره . ومع فيه تنقيح . ع . المطبعة . ١٠٠٠ . النصه كما عا في الفصل ٧ من الجزء الثاني

الدوام ارجع اليه .

(٤٨) آية ١٠٤ آل عمران .

(٤٩) آية ١٢٩ الاحزاب .

ومنه قول الشاعر :

وما أدري ولست أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

إذا فالقرآن يرشدنا إلى أن يكون دعاة الإصلاح جماعة ، وأن يكون أدب هذه الجماعة الاتحاد والتعاضد ، ومن الواجب صرف الهممة إلى مشروع الدعوة حتى تقام على أساس ونظام يحفظ الحقائق والمصالح . أما بقاؤها مطروحة إلى داعية الأفراد فقد يفضي بها إلى ضياع محتوم (٥٠) .

من هم الأفراد الذين يقومون بدعوة الناس ؟؟

هل الدعوة قاصرة على أهل العلم والمعرفة ؟؟

الاسلام أطلق في أمر الدعوة فأعطى لكل انسان قادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحق في ذلك ، حتى أذن لأقل الناس منزلة ومكانة أن يصعد إلى مقام الأمير الأعلى ويجاهره بالنصيحة وطلب الإصلاح . وقد كان الفرد من باقي الناس يأمر الولاة في عهد السلف وينهاهم .

روى البخاري في جامعه الصحيح عن طارق بن شهاب ، قال : أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان ، فقام إليه رجل من عامة الناس لكنه فقيه في دينه فقال (يا مروان) الصلاة قبل الخطبة . فقال : قد ترك ما هنالك ، قال أبو سعيد الحديري : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فمقلبه . وذلك أضعف الايمان) (٥١) .

٥٠ . نعمه حتم بحتم من باب صرف حتم فهو محتوم وكثير من قلده الفكر وغيرهم يقولون الأمر يحتم علينا  
صم الحاء وكسب التاء غير مشفاه مع انها كصرفة .



وحدث في حديث آخر أن في السجين أعتق ن أبا سعيد هو الذي  
حدث به سائر - حين رآه بسعد الميرت فرد عليه سراً ومثل ما  
رآه عن ذلك الرجل . ولعلها قصتان كما قال شارحو الحديث  
أحدهما وقعت لأبي سعيد ، والأخرى كانت حصريه .

وبصهي هذا ونقوت منه ما روى مسلم في صحيحه عن كعب بن  
عجرة أنه دخل بسعد وعبد الرحمن بن أم الحكم يحطب قاعدا ، فقال  
أصبروا إلى هذا الحبس يحطب قاعدا ، وقد قال الله تعالى (وإذا رأوا  
سعادة أو لهموا بمقصود إليها وسركوك قائم) (٥٢) . واعتبروا بعد هذا  
في قوله تعالى (وأنصروا بالحق وأنصروا بالصدر) (٥٣) وقوله تعالى  
(كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) (٥٤) .

فالتميز بالصهي والتواصي اللذين هما من صيغته التفاضل يدل  
على تبادل الوصاية والتناوب في المهني عن المنكر . ويشير هذا التمييز إلى  
أن الشخص الذي يوصي آخر بحق أو ينهيه عن منكر لا يعلو به قدره  
عن طاعته ذلك الموصي المهني إذا دعاه إلى صالح أو إلى الشروع عن  
بأصل .

ويجزي على هذا الباب أن السفهاء يطلقون للحسوم أن يحاطبوا  
بقاصي ويردوا عليه أن جار في حكم بدو (اتق الله) أو (اذكر الله) أو  
(راغب الله) ولم يعدوه من اللمر بقلعة التقوى . ولو أخرى على مثل  
هذا حكم الحتام أو الطعن الذي يستحق به الخصم الأدب لاتخذ العاظم  
استتبد دريعة إلى كف الرعية ، وسد أفواههم عن احضاره الصيغة  
ودعوته إلى القيام بصالح الأعمال .

(٥٢) آية ١١ النجدة .

(٥٣) الآية ٣ والصدر .

(٥٤) الآية ٧٩ المائدة .

يروى أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب في كلام دار بينهما (اتق الله) فذكر عليه بعض الحاضرين من أصحابه وقال له (أقول لأمر المؤمنين اتق الله : فقل له عمر : دعه فليقلها لي ، نعم ما قال ، لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها ولكن للمصلح شروط فما هي شروطه ؟

١ - أن يكون على بينة تامة من حكم ما يأمر به أو ينهى عنه وقد أشير إلى ذلك بقوله عز وجل (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (٥٤) وقوله تعالى (أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) (٥٦) .

ب - أن يكون من أهل الدعوة والإصلاح والوجاهة وعنده من تأثير القول ما يجعل الناس متبعين له مقتدين بأقواله له .

### « الناس في ادراك الحقائق مختلفون »

نعم الناس في درك الحقائق أربع طبقات .

١ - فمنهم من يشعر بوجه الحق فيستولي عليه نظراً وعلماً ، وهذا في استطاعته إقامة الدلائل المريحة ليهندي بها المقتدون على أثره ولا خير في أمة ليس فيها أحد من أهل هاته الطبقة .

٢ - ومنهم من هو على عكس ذلك لم يبلع في قوة الشعور وسرعة الحاطر أن يرجع إلى الحق من تلقاء نفسه ولو ترك شأنه وخلي سبيله لتمادى في جهالته ، لكنه يسمع أحياناً إلى الكلمة تشير إلى موضع الحق فيرمي ببصره إليه ويأخذ في إقامة الدلائل الموصلة إلى معرفته .

٣ - بعض الناس لا ينتبه للحق بنفسه ، ولا يتمكن من إقامة الشواهد عليه لو أثباته تبا فيحتاج إلى الإرشاد والتنبيه والدلالة على

(٥٥) آية ١٢٥ النحل .

(٥٦) آية ١٠٨ يوسف .

بحر حتى يروى أي العين إلا أنه اسطور على فطره سليمة ونفا  
صحيح ، فلا بد أن سرعده ما عرفه من الحق ونفس في مكانه  
جهلا أو ضلالا .

في الدرس من يلقي رسامه الى أي الدعاء والمصلحين ويتقبل  
أقوالهم بقبول حسن ويلتقاهما بالطاعة دون أن يكسبهم الدليل على صحة  
القضية أو الوجه في سر حسن عمل ، وأما بعد في الافتداء بهم على  
ما اشتبهوا به من بحر العلم والاستقامة والصبر وكثرة التلاميذ  
والرؤس حولهم من أولي الأحلام الباصحة والألباب الراححة .

هل يحتسب بواجب الدعوة أهل الطبقة العالية ؟ أو من كسب أهل  
منها ؟؟

لا يحتسب بواجب الدعوة أهل الطبقة العالية وما يقرب منها ، فإن  
من العجز ما يكون واضحا بنفسه أو بدليل متواتر ، حيث لا يتأتى فيه  
راع ، ولا يحتاج الأمر فيه الى تقرير حجة أو ازالة شبهة كهرية  
الصلاة ، وقضية العدل والعمل لخليص الوطن من سيطرة الأجنبي ،  
فمثل هذه الحقوق إنما يهملها مستطيع القيام بها لاقه فهو أو داعية  
هو فيحق لكل مسلم - وإن كان من أهل الطبقة السفلى - أن يذكر  
فيها غيره ويوصيه بها ، وإن كان من أهل الطبقة العليا .

وأما مالا تدركه العامة من الحقائق ويصطر الداعي الى أن يورد  
في بيانه الأدلة ويطارد الشبه فامر الدعوة اليه من واجب العلماء  
وحقهم القادريين على تحرير شبه وحسن التصرف في سوق أدلته .  
لكنك إذا رأيت عالما متساهلا في الشريعة غير عامل بها نصحت له ونزلت  
منزلة الجاهل كما قيل :

وربما أجرى محرى الجاهل      مخاطب ان كان غير عامل  
كقولك لعالم ذي غفلة      الذكر مفتاح لباب الحضرة

ولا يمتدحون برأي مرشد الا اذا وثقوا بأمانته وأبصروا فيه صدق قوله مثالا حسنا لما ينصحهم به \*

لقد تراء شعيب عليه الصلاة والسلام من مخالفة قومه الى ما حذرهم منه فقال (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) (٥٧) \*

وقد جاء في كثير من الآيات في فضل الدعوة ذكر صلاح الداعي في نفسه واستقامته في عمله : قال عز وجل (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا) (٥٨) وقال جل ذكره (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم)\* وجاء في التنزيل ما فيه تقرير وتعجب من حال الداعية الذي يلقي الموعدة ويبسط لسانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو يترك العمل به جانبا قال تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟) (٥٩) \*

وفي هذه الآية دليل قاطع شاهد على أن من أرشد غيره الى صالح وأمر بمعروف ونهى عن منكر وهو قابض يده عنه أو حذره خائفا من وقوع مفسدة وهو لا يعادر موضعها فقد خالف مقتضى الحكم ودخل في قبيل الذين لا يفتلون يتوهم بعض الناس أن الدعوة الى احترام حقائق الاسلام وآدابه لا يصح صدورها الا من علماء الدين شريطة أن يكونوا من مصر أو تونس لما فيها من كميتي العلم الأزهر الشريف وجامع الزيتونة ، ولربما ظن بعض من أعماهم الجهل أن الدعوة الى معرفة الاسلام انما هي شأن من شؤون علماء الدين ، وقد ترتب على هذا أن بعض من يدرس حقائق الاسلام وآدابه ويستطيع بيان حكمته ودفع شبه المصدين عنها ، لا يهر في هذا الغرض قلما ولا يحرك به لسانا ، ثم لا ترى له من عذر عن هذا التقصير سوى أنه لم يكن من أصحاب المعائم أو أنه لم يكن من علماء المأهدين الدينية ، ان لم يلق اليك هذا

(٥٧) الآية ٨٨ سورة \*

(٥٨) الآية ٢٣ صلت \*

(٥٩) الآية ٢٤ البقرة \*

\* الآية (٧٦) من سورة النحل \*

العدو سقاه <sup>٦</sup> ذلك عليه لسان حاله وقد عرف طريق من علماء الشرق أن الداعي أو مصادر الإسلام حادى للاستجابة عامل على انقاد الشرق العربي من محارب الاستعمار فوقفوا حسانهم أو جابجا منها على نشر محاسن الإسلام وافحام هذه الفئة المهالكة على محاربه .

## هل الدعوة الى الله تحتاج الى الاخلاص ؟

### وكيف يكون ذلك ؟؟

الحاية من «الدعوة» صلاح العالم واسطام تنوونه على منهج السيادة والسعادة فدا ما وجه الداعي قصد الى هذا العرس واقامه نصب عينية . استقام على الطريق وفصى حياته في طمعية وسيرة راضية مرصه . وادا ما اعرف عن هذا النصد السوي ولو فيد شعرة رأيت مضطرب كريمة في مهب الريح .

كريمة في مهب الريح طامرة لا تستقر على حال سس القلق

وقد حكى التبريل في نوحهاته وارشاداته وفي مواعظه أن شعيبا عليه الصلاة والسلام قد رأى نفسه من الأعراض والأمراض في سبيل دعوته واصلاحه . رأى نفسه ان تنصد عرسا من الدعوة سوى الاصلاح حين قال (ان اريد الاصلاح ما استطعت . وما توفيقى الا بالله) <sup>(١١)</sup> . ويرشدنا قوله جل وعلا (قل لا أسألكم عليه أجرا ان أجري الا على الذي فطرني) <sup>(١٢)</sup> وقوله عز من قائل (اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون) <sup>(١٣)</sup> يشير ذلك الى أن تشوف وتطلع الداعي الى ما في ايدي القوم ولينال من وراء ارشاده عرضا دنيويا من حطام الدنيا ومتاع هذه الحياة الساحرة كل ذلك يعتبر قادحا في صدقه داحلا بالريسة في اخلاصه واستقامته .

(١٠) أحد مصادر القول ومنها قال وقالون وحاله مقال .

(١١) الآية ٨٨ هود .

(١٢) الآية ٩١ هود .

(١٣) الآية ٢٩ يس .

## « صفات قادة في الدعوة والمرشدين »

لا يدخل في زمرة المصلحين من يظهر بدعوة النصب والانتصار للعدالة ، ويميل اليغضام والحرب النفسية على من يروم انتهاك حرمة العدالة ، كذلك لا يدخل في زمرة المصلحين من يبصر قوما يعمدون الى حقوق قائمة لكنهم يتباعدون عنها فاذا هو يبتسم لضعفهم مظهرا علائم الرضا والارتياح عن أعمالهم . أو يشاركهم في اخفاء الحقيقة ولو بحنية (٦٤) من تراب \*

فما الذي حمل هذا النوع على حب العمل بالحق والانتصار له أولا ، ثم ما الذي دعاه وبعثه على خذلانه ؟ والارتياح لازهاق روحه ثانيا ؟ إقامة الحق في الأولى تعود عليه بمصلحة خاصة ومنفعة محققة فكان من أشياعه وأعوانه ، واما اطفاء نوره في المرة الأخرى فانه لا يذهب بحض من لذائذه فلم يأسف للقضاء عليه . وانك لا شك في مثل هذا النوع ولا اعتقد أن له أدنى معرفة ولا صلة بالدعوة والاخلاص ومن الناس أيها الداعي الى الخير . . . من يضر في نفسه لبانة (٦٥) لا تصل اليه يده الا بمساعدة قومه وعشيرته فينصب اسم «الاصلاح» مشتركا لاستعطافهم والتعافهم حوله ، فاذا ضحك الاقبال في وجهه وحان قطاف أمنيته أعرض عن معاضدة سر العدالة وعرى أفراس الدعوة ورواحلها (٦٦) .

تهدفت كثير من أصحاب الصماتر المعتلة على منصب الدعوة واجتهدوا في كتم سرانهم بعاية ما يستطيعون . وما لبثوا أن انكشف سرهم . واقتصح أمرهم . سنة الله في الذين يظهرون بعير ما يعلمون من أنفسهم ، وهذا ما يجعل أذكيا الناس يحترسون ويحتاطون ممن يحرج في زري

(٦٤) خثافي وجهه التراب من بايبر عفا ورس \*

(٦٥) حاحه يعال تقصبت لباتي أي حاجتي \*

(٦٦) في علم الجملة استمارة فيها تشبه التضي والاعتزال عن الدعوة برجل ترك الأفراس عارية ممن

نرواحل \*

يصبح اسد ما يجد في المعاهر مائة العت والفساد وفي الحكم  
 (رب مستتر بالاصلاح أصغر على الآية من المعاهر بالفساد) . فأحو  
 المشير إذا صعد للناس في ثوب الصالح الأمين انجدع لأقواله وريشه<sup>١٧</sup>  
 أهل العفة والعدوة والسحر حائل على كثير من أهل اليقظة والساهة  
 فيجد سبلا مفتوحة وسوسا منتهية لقول ما يدسه في حسي كلامه ويكنه  
 تحت اسم الاصلاح من مقاصد سيئة فيكون كيدته أقرب اصابته  
 وأشد رمية من حقل المسار لهم بالعداوة والعمل على شوائهم فان  
 من سكسف لهم عن نظامه صدوره لا يسهلهم بالمكائد تحت ستار ولو  
 (سأهم بها في موارنة<sup>١٨</sup>) لوحدوا من شعورهم بطويته ما يحملهم على  
 سوء الظن به . ويتقدم من الموع في حياته .

وهذا معنى أولاه من الدس يصدون عن الاسلام من المعالين له  
 علاسة لم يبالوا بين الأمم الاسلاميه الاحية وحسار او التمييز والفرق  
 بين من وقف ينادي للاصلاح صادقا مخلصا وبين من ليس قميص المصيح  
 على سبيل العاربه . وذلك لدسا بصيها أو عرض مادي رائل يباله .  
 أو وجاهة ينماهي ويمتخر بها أو لينقرب الى ذوى الوجاهة والمكاسب  
 والسلطان فهذا النوع انما نهدي اليه المراساة المهدية والاختصار  
 المصحح . فإذا انضم ما داعبا دايسار ولم يظهر في طبيعته حرص على  
 تمام ما بين يديه من المال أو قام يدعو عريفا ليس من دأبهم بسط  
 أكتهم بصلة الدعاة . فما كان لما أن سبه بهمة التصد الى اصطبياد  
 ما في حرائش الناس من رينة هذه الحياة الدنيا .

والذي يدلنا على سلامة بيته من نحو احراز رياسة أو وجاهة أن  
 ينشأ في بيت واحد ويحور في الشرف مكانه سامية ، فيقوم وهو يشعر  
 بأن مجاراته ومسايرته للناس واعطاه عما يشاهده منهم من العوج  
 يزيد في اقبالهم عليه يضع قلوبهم في برد الرضا عن سيرته ، فيعرض

(١٧) درهم ريشه وراقه رديه ويجمع على ريش وزيوف كفس وفلوس .

(١٨) مقلعة ودعاه ومخاللة وفي الحديث (وان ما ستم واربول) .

عن مداجاتهم<sup>(٦٩)</sup> ومداراتهم ويناضلهم بالحجة البالغة ، ولا ينفك عنهم معرضا عليهم الحقيقة وهي في أعينهم وهم لها كارهون .

ومن شواهد طيب السريرة أن ينادي قومه للإصلاح سنين عديدة . ويتمادي في سعيه المتواصل الى آخر رمق وآخر شوط من حياته دون أن يصل عزمه<sup>(٧٠)</sup> اعراضهم عنه وتباطؤهم عن الاستجابة اليه أو مقابلتهم لصنيعه بالكفران .

والشأن فيما انطوى صدره عى سريرة غير طيبة أن يستمي إليها بالوسيلة . فاذا أبطأت به ، ولم تصع عينه الا على حيله أمل واخفاق مل العمل وصرف جهده الى وسيلة أخرى .

أما الذي يواصل سعيه ويمق معظم حياته في الدعوة الى الله فقد تصفه أحيانا بسلامة النية ، وإرادة الخير لقومه ، ولكننا لا ننتع باسم (المصلح الداعية) الا اذا صما منهجه واستقامت أراؤه ، فمن الدعاة من تطيب سريته ، ويخلص قصده وانما يخونه قلة بصاعته في العلم أو قصور نظره عند قياس الأشياء بنظائرها واشباهها ، أو اقتباس الفروع من أصولها .

### « وسائل الدعوة وطرقها وأهميتها »

تؤدي الدعوة باللسان تارة ، وبالقلم تارة أخرى ولكل منهما مقام هو أحق به من الآخر ، فمن الدعاة من يسمده لسانه ويصفو تفكيره فيعبر عما في نفسه كيف شاء ويمسك القلم فلا يحده مطوعا . ومن الدعاة من اذا نطق وقع في عثرة لسانه ووقع في كبوة ، واذا كتب أبدع وأعرب . ويلغ بيان ما يجول في ضميره الأمد الأقصى والغاية القصوى فينبغي للداعي أن يبصر من نفسه ، ويعرف نفسه ورحم الله امرءا .

(٦٩) سائرته بالدعوة ولم يبدعها .

(٧٠) قل الجيش حربه ومانه ود قل مل .



عرف فداؤه ولم يتعد طوره، نعم لكن حصرا بعمومه من أي صنف هو فلا يعرض نفسه للأثبات والنصائر ومن أساء الدعوة من يتصدر لالتقاء الدروس والخصب والحكم وهو حالي الوفاص لا رائحة للعلم عنده فهذا وأمثاله عليه أن يأخذ الناس بالطريق التي يركنها دلو لا على إيجاده المستقيمة ومن حكمة الله ومريد فضله على العلماء أن العامة أنفسهم يعرفون قيمة المتكلم بادواقيهم فإن كان الداعي صق الناس بلبع القلم راعى في إرشاده حال المدعوين فإن الناس طبقت وإذا استوى في نظر الصفة المستمرة الخطيب البارع والكاتب الصادق الماهر، فإن خطبه تكون أسرع وأقرب إلى فهم العامة وانهمس بهم إلى ما تأمر أو نهى ولشده توتر الخطب في سموسهم ترى الرئيس المستند، والحاكم الدكنابورى بحق<sup>(١)</sup> على الخطباء ويضيق صدره بهم أكثر مما يحق على الكتاب ولا ريب أن الدعوة بالكتاب أوسع جولة وأخلى أثرا ومن فوائدها إرشاد من لا يمكنك ألا تصل فوقك إلى أدته، ولا تصل دعوتك إلى قلبه كما أن من فوائدها إرشاد المحرفين عن السبيل مع انهم من ساحتهم والسلامة من أن يواجهك سقهاؤهم بدسخرية والأذى والادع من القول (موضع الخطابة به من الدين) ومكانتها اهتم الاسلام بالخطابة وعني بها تشريع الخطب لأنام الجمع والأعياد والاستسقاء والكسوف والحسوف وغيرها ليقوم الخطيب فيها بإرشاد ونوجيه يراعي فيه حال الأمة فيقرع أسماعها بالموعظة الحسنة ويستبشعها للأعمال الكفيلة بعمرها في الدنيا وسعادتها في الآخرة هل كثير من الخطباء عن هذه الحكمة فالتمروا لكل شيء خطبا معيبة يسردونها سردا ولا يطورون فيها إلى ما يقتضيه حال الناس في التعليم أو التذكير .

و يصيبهم هذا حرجوا بالخطب عن مقاصدها وعماياتها نعم خرجت عن كونها أداة اصلاح أو طريق الدعوة إلى اصلاح .

٧١. حتى خطب وسمع مدون كجبال وقد سبق قلعه من ملك طرب فهو سبق أي عاظ وكلبه وكان ير تجر عوبه يراد منها الحق والقوة .

ولا يريد في حسن الخطبة ونفعها الا أن تكون من انشاء الداعي نفسه اذا كانت لديه مادة علمية واسعة وملكة قوية غزيرة ، بل يكون نفعها أنفع وأبلغ لا سيما اذا استطاع أن يرتبطها ارتجالا ، اذا ان الأقوال التي ينتزع معناها بنفسه ، ويسبك عباراتها بطبعه وذوقه متصورا لواقعها وحاضريه لا ريب أنها تكون أبلغ أثرا في نفوس السامعين ، وأملك لعواطفهم ، من أقوال صنعت من قبل فأخذ يحكي ألفاظها حرفا حرفا وجملة فجملة ، والأقوال المنشأة حال القائها تصدر عن انفعال نفسي ، وقوة ارادة فتتخذ الى نفس السامع بالفاظ جديدة وهياة غير مصنعة : ويمكنك أن تعرف مقدار انفعال الخطيب وقوة ارادته مما تشاهده في هيأته لظاهرة من تبسم أو استعبار (٧٢) ، وعبوسة جبين أو طلاقته ، ورفع صوت أو خفضه ، الى أن يماثل هذا من الآثار التي لا تشاهدها على ظاهر الناقل أو المترجم لكلام غيره الا أن يتكفها .

### « كيف تكون خطيبا مرتجلا »

وتختلف طرق الدعوة — من حيث نوعية البحث ومبلغ الاستدلال — الى ما يفيد يقينا لا ريب فيه ، والى ما يفيد ظنا غالبا . قال جل وعلا : ( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ) (٧٣) فقد ذهب بعض أهل العلم الى أن المراد من الحكمة الحجة المفيدة لليقين .

وس الموعظة الحسنة الأمارات الظنية والدلائل القطعية الاقناعية . أما الجدل والمجادلة المنصوص عليهما في كتاب الله ( وكان الانسان أكثر شيئا جدلا ) (٧٤) فالذي ورد في علم المنطق ( الفلسفة ) الذي وافق على

(٧٢) . سمعيت منه بكى ومنه قول بعضهم لا عبرة عبوة مستعبر عالم تكن عبرة مختبر .

(٧٣) الآية ١٢٥ النحل

(٧٤) الآية ٥٤ التولف

والتي هي في الحقيقة من أجناس هواد ليندبيرغ\* المركب من خمسة -  
 عشرة عند المدرس في درجت\* التي فصل الاسم البراني في كتاب  
 الاقتصاد هذه الأبوغ من الحق\* قسم المحاطين إلى ثلاث طبقات\*  
 وعين لكل طبقة نوعا فقال :

والسراة\*<sup>٧٥</sup> أما يحاصف به الأدكاء الواعون\* والخطاة يحاصف  
 بها العوام لأنهم لا يعرفون السر هاد\* والحدل لا يحاطف به إلا المدسوسون  
 في الأعيان لأنهم عر مدبههم عالم غطه لا يعرفون هناك قوام يعززون  
 بالحو لك بهم أهواء\* عراض يمددهم عن اساع الحق\* فهو لام يدور  
 به هذه الحسنة المستقلة على الدار حيث في الحق والقر هيب من الباطل \*

والدولة مهدد الطم نفاير\* قبل الحق\* أما\* ثم فصل الحق  
 فعبه\* أر\* محادل ناي هي أحسن\* والقة أن لا يحتج في سجالته بمقدماته  
 بحر\* قسم الخصم لها\* كما هي الطريقة الحديثة عند أهل المنطقة  
 عرهم\* بل لقضايا والمقدمات التي سلسها الناس\* وهي به هينة\*  
 \* فتاسمه\* وأن كان يصعبهم يسلسها ويصعبهم سارع فيها ذكر الدليل على  
 صحتها \*

والواهم أن القرار لا يندج الا غاطع\* فان دعونه للناس كافة\*  
 وهذه منه للعقول كثيرة كانت أو صغيرة\* ومن حكمته وهو يدعو  
 لنشر فحصة أن يقيم على الحق أدله لا يحوم عليها ريبة\* ولا تستطيع  
 لها كبار العلاسعة نقضا\* أما غيره من الدعاة الذين يقصدون الإصلاح  
 صائفة محبة\* فلا حجاج عليهم أن يسلكوا في الاستدلال على الحق ما  
 يحسنه مألوا مقولا عند المحاطين\* وأن لم يسلع في قوة الدلالة أن يفع  
 من طلاب اليقين موقع التسليم \*

٧٥ - م - منه وقد برهن عليه أي أقام الحجة\*  
 لا فاعل\* مخاطب\* البرام نائب فاعل أو مفعول لمخاطب \*

## آداب الداعي - آداب الدعوة -

### بيان ذلك :

العمل على انقاذ النفوس من أودية العواية ، والاقبال بها على مطالع السعادة ، مسلك وعرف وطريق شائك لا يجتازه ولا يمر منه على استقامة الا من بلغ في صناعة البيان وقوة الايمان أمدا بعيدا قاصيا .

لا يكفي في الدعوة الى الله أن يكون في يد القائم بها حجة أو موعظة يلقيها على مسامع المخاطبين على أي صورة شاء ، اذ أن المخاطبين يختلفون ذوقا ، وثقافة ، وفهما باختلاف الزمن والبيئة ، ومن المستحسن أن تصاغ دعوة كل طائفة في أدب يليق بأذواقها أو ثقافتها .

### « ادراك فنون الدعوة »

الخبرة (٧٩) بما للطوائف من أحوال نفسية ، والقاء الدعوة في ثوبها الملائم المناسب لهذه الأحوال ، موكول الى ذكاء الداعي نفسه ورسوخه في فنون البلاغة وأدب اللسان . ولا يمنعنا من تذكير القارئ ببعض جمل نوردها ، كأمثلة للأدب الذي تخرج به الدعوة في خطاب هليغ .

من أدب الدعوة الرفق في القول ، الرفق بالسامعين واجتناب الكلمة الجافية . فإن الخطاب اللين قد يتألم النفوس القاسية الحادة ويدنيها من الرشد ، والاصغاء الى الحجة أو الموعظة .

قال جل ذكره في خطاب موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام (ادهبا الى فرعون انه طغى فقلولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يحشى) ولقن موسى عليه الصلاة والسلام من القول اللين أحسن ما يخاطب به جبار يقول لقومه : (أنا ربكم الأعلى) ، فقال تعالى لموسى عليه السلام

(٧٩) خبره اذا ملاه واشتتت حرة من داب نصر يقال صلب الخبر يفتح القلب الخبر ضمها .

(فصل هل لك الى أن تركي<sup>٧٧</sup> واهديك الى بك فتحتني<sup>٧٨</sup> ويدرج في سبك أنواع الدعوة صرف الانكار الى غير معين كقوله صلى عليه وسلم في إحدى خطبه في الكير على أهل بيعة وقد عرفهم بأعيانهم وأشخصهم «ما مال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله؟» ومن هذا النوع ومن هذا القبيل في صفة الدعوة وعدم تعيين أشخاص بأعيانهم مثلا تتحرك الفتنة ويكثر لثقل الفال من ذلك قوله صواب لله وسلاسه عليه «ما مال أقوام يترهون من الشيء أصمعه؟ فوالله اني لأعلمهم بالله واشدهم له حشية»<sup>(٧٩)</sup> . وقال ما مال أقوام فعلوا كذا وكذا .

وشكا الى رسول الله عليه الصلاة والسلام رجل من سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه حين كان يطيل بهم الصلاة ، فاشتد عصبه . ولكنه احتسب بعادته الحميلة وطريقته المثلى في الدعوة الى الله فلم يجابه معادا بملعة ولا فطامة على التعيين ، عزم في الموعظة وحصلت الناس قائلا «ايها الناس انكم منعمون فمن صلى بالناس فليخفف فان فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة» . ودأت مرة سمع بالطويل في الصلاة من معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال له فيما بينه وبينه (أستاذ أنت يا معاذ؟) .

٣ - ومن أمثلة أدب الدعوة وهذا من المهمات الحديرة بالعناية أن يوجه الداعي الانكار الى نفسه وهو يعني بذلك السامع مخاطبا نفسه ماذا تريد أن يتها النفس تريد أن تستكبري وتتخطري فما هذه من حصال المؤمن وذلك كقوله تعالى فيما يقصه عن رجل يدعو الى الايمان بالله (ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون؟)<sup>(٨٠)</sup> فان أراد تقرير المخاطبين بالتدريج على طريق الالتفات فوجه الخطاب الى

(٧٧) (٧٨) الآيات من سورة النازعات .

(٧٩) رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها .

(٨٠) آية ٢٦ يس .

نفسه (المتكلم) ثم انتقل بالالتفات من المتكلم الى الخطاب أراد تقرير المحاطين بأسلوب حكيم علمي بارع عندما أعرضوا عن عبادة خالقهم ، وعكفوا على عبادة غير الله على عبادة مالا يعني عنهم شيئا ، فأورد الكلام في صورة الإنكار على نفسه تلطفا في الخطاب وإظهارا لخصوص البية في النصيحة ، حيث اختار لهم ما يختار لنفسه .

٤ - ومثل هذا الأدب بل ما يصاحبه أن يضع الداعي نفسه بمنزلة السائل المتطلب للحقيقة ، ويقيم الحجة في معرض الاسترشاد ، حتى تعمق بأذهان المخاطبين وتثبت في نفوسهم قبل أن يشعروا بفرضه فينصرفوا بقبولهم عن الاصغاء اليه : كما فعل سيدنا إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في محاجة قومه المشار إليها بقوله جلّت عظمتة (إذا قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا : نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون ؟ أو ينصعونكم أو يصرون ؟) (٨١) .

وقال تعالى في تلميم رسوله الأكرم صلى الله عليه وسلم كيف يدعو الى الحق (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله ، وأنا أو اياكم لعل هدى أو في ضلال مبين) (٨٢) . فإذا لم يظهر الداعي أنه على بينة من أمره ، وألقى الكلام في حياة المتردد الذي لا يتقن أن الهدى في جانبه ، كان كالمستعين برأي المخاطب في البحث عما هو حق ورشد ، فتدحل في قلب هذا المخاطب عقدة التعصب ، وربما طمع في مغالبة الداعي وأخذه الى مذهبه ، فيقبل على النظر بجهد حتى يمر به الداعي على الآيات البينات ، فإذا هو ينظر الى الحق : فاما إيماننا بعد واما عبادة .

٥ - ومن لطف الدعوة أن تنادي المدعو بلقبه الشريف ، وتنمته (أي تصفه) بوصف من شأنه أن يبعث صاحبه على قبول الموعدة له

(٨١) الآيات من ٧٠ - ٧٣ من سورة القصص .

(٨٢) الآية ٢٤ مائتا

الانصاف في الحداد له . وهذا الأدب مقتبس من مثل قوله تعالى « يا أهل الكتاب » (يا أيها الذين آمنوا) (يا أولي الألب) ، (يا أولي الأسرار) وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم (هرقل) ملك الروم في كتاب دسوته إلى الاسلام معظيماً الروم كما هو صريح السيرة النبوية . ومما عمل هذا الأدب في موعظة الصمير لكبر رادؤوس لرئيسه ، « لا سيما حيث تضرب على الدولة طلائع الكنايسة الإمداد » (الرسالة والهيمنة) .

### « من أساليب الدعاة في خطبهم »

قد يفتتح الخطيب (الداعي) للرؤساء خطابه بكلمة « أشد لي . أرحم لي . أسمع لي . أو اسمعوا لي » أو ما شابه ذلك والخطيب المؤمن لا يقول سيدي سيدي تأييداً للمتعلقين والمترقبين (٨٢) . إن الداعية المخلص الأمين إذا عجز عن الإصلاح ورأى الحكم أهبط (٨٣) المرصعة وخاطبه بصفاء وطلب إليه الأدب ليتسكن من الوصول إلى نسجه ووعده كما ورد عن ابن شريح عندما عاين الحيف والبغي واقفين في الساس في أهل مكة قال ابن شريح لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث والبعثات إلى مكة . « أشد لي أيها الأمير أحدثك قولاً » وذكر للأمير ما قاله وفاء به النبي المصلح والمرشد الهدى للأمة صلوات الله وسلامه عليه « إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسمك فيها دماً » . الخ الحديث المعروف . فقال له عمرو بن سعيد : « نحن أعلم بحرمتها منك » فقال له ابن شريح : اني كنت شاهداً (أي حاضراً) وكنت أنت عائناً وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسمع شاهداً غائباً وقد أبلغتك فانت وشانك .

(٨٢) ترك في كلامه عيوب وتكلم .

(٨٣) حصل الغش .

## « اعتراض الناس على الدعاة »

بعض الناس ينكرون على من يرونه مبطلا في دعوته فيقبلونه بالغلظة والفتاظة يقابلونه بالتجريح والافلاظ في القول لا سيما ذوي المبادئ الحزبية الهدامة\* ، يرمونه باللعن والشتائم وربما كالوا له أنواعا من السباب والتهم وطريق الشتم والرسم طريق بدر الشقاق الذي نهينا عنه فقد كان صلى الله عليه وسلم يستعيف منه فيقول . اللهم اني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق . ولربما حمل الداعي المبطل في قوله على التعصب لرأيه أو هواه وقبض عليه باليمين والشمال .

وقال ابن قيس الرقيات :

أهرب بنفسك واستأنس بوحدها  
تلق السعور اذا ما كنت منفردا  
ليت السباع لنا كانت مؤاتسة  
واننا لا نرى مما نرى أحدا  
ان السباع لتهدا في مراتبها  
والناس ليس بهاد شرهم أبدا

« ما هي فائدة السباب في الجدل والخصومة ؟ »

يعرف الكثير من الناس أن طريقة السباب في المجادلة انما يسلكها العاجز عن اقامة الحجج الدافعة ، اذ أنك لترى المقال الذي يحرر في سعة صدر وأدب مع المخالف يجد من القبول وشدة الأثر في نفوس القراء لمقاله مالا يجده المقال الذي يخالطه السفه والنزق والطيش والحماسة . كذلك ترى المستيقن أنه على حق ، مطمئن البال آمنا على مذهبه من صولة الباطل ، فينطق عن صبر وأناة وتخبر للأقوال الصائبة النافعة .

\* وفي رواية معاصرة من كتاب الحسن بن عبد الرحمن الزاهرري .



أما من لم يكن على بصيرة من قوله ومذهبه في الحياة ولم يكن على بصيرة من رأيه أو عقيدته فإنه يمر عجاج عبد المحادلة والمحاجة . ويطيس به العدل حتى يعجز ويقذف بالسباب ويلغظ بالكلام دون أن يقيم له قيمة ووزنا .

هناك طائفة أخرى ثلثة<sup>(٨٥)</sup> أصبحت كثيرة بعد أن كانت قليلة حين كان الوراق الديني مهيمًا على الناس . وحينئذ كان دستور الاسلام «سيطرا» وكادحا لحماح النفوس الخائفة أولئك القوم ساعوا أنفسهم رحيصة بمتع هذه الحياة الدنيا . واندفعوا لاعواء الأمة والكيب لشريعتها وحياتها السياسية . بجميع ما ملكوا من صفاقة وعناد وسوء طويه .

ولعل الناس يعدرونك حين تتصدى لكلمة بأس هؤلاء وردعهم ، ويعزري على لسانك أو قلمك أثناء جدالهم كلمة تتهمهم بعقولهم ، أو تردري آراءهم أو تنه على مكر وعيل وحقد انطلوت عليه نفوسهم . أنك إن تهكمت بحقول هؤلاء أو اردريت آراءهم فإنما تضعها في موضعها وتمس خيلاءهم وكبرياءهم بما يحقن من غلوائها ، وإن رجعت الفطام عن مكايدهم فإنما تعادل قوما يجعلون مكان المقالة الصريحة رمزا . ومكان الطمن عمزا ، ويلبسون أقوالهم المعبرة عن آرائهم ترددا أو ريبا .

(٨٥) الطائفة من الذين «قطعة» من الواحد مما فوجئ اليه الجماعة من الناس قال تعالى «لهم من لا يدين» (٨٥) من سورة الواقعة .

« السياسة العملية في الدعوة »

طرق أخرى من أدب اللسان

يراعىها الداعي ، ويأخذ

بها في الدعوة فيكون

لها في النفوس

المستعدة للغير

أثر حميد

إذا كان أدب الخطاب يقوم على البراعة في فنون البلاغة فإن الطرق  
التي سنأتي عليها إنما تقوم على نظر تطور في أحوال الجماعات أطوارا  
ودرس سنن الله في الخليفة ، فعرف كيف يسوس النفوس الجامحة  
ويردها إلى سوا السبيل .

أما القلم لا يسهل عليه استقصاء ولا استيفاء الحديث عن هذه  
المعقبات ، ولا يسعه إلا أن يصرب لها أمثلة وشواهد لتتجلى صورها  
واضحة للقارئ والملاحظين وبعد ضرب هذه الأمثلة يترك الأمر إلى  
أهمية الشخص ولباهته وحذقه فذلك كله يتناول المعنى القليل فيجمله  
غريرا وفيه المعنى والمقاصد وذلك كله يتلقى القول مجعلا فيفصله  
تفصيلا .

لاحقة هامة :

من الحكمة في الدعوة أن تخاطب بها الجاهل أو الغافل في حلوة  
(أي فيما بينك وبينه) إبقاء للستر عليه ، ورغبة في حسن أصغائه  
إليك ، فإن كثيرا من الناس من إذا ألقيت عليه النصيحة علانية أخذته  
المرّة بالاثم وثنى عطفه عن الاستماع إليها والامتنال بها -

فقد استمع من قولها في حلمه ما يحل لك أن تنفيها عليه على ما من  
 الناس بطله بل لم فير حر ويحذر سوء العاقبة فيعود إلى سره نقيه  
 ويدرك كما يدرك أولو الألبار . قال تعالى في قصة نوح عليه الصلاة  
 والسلام (قل رب اني دعوت قومي صلا ونهارا)<sup>(٨٦)</sup> إلى أن قال (ثم اني  
 دعوتهم صهارا)<sup>(٨٧)</sup> ثم اني اعلمت لهم وأمررت لهم اسراراً)<sup>(٨٨)</sup> .

وهي حكمة استمع في الاعلان والاسرار في الدعوة اذالة ما ينع  
 في منسب يدعو من اتهام اداعي منه ما أراد من دعوته علانية الا  
 يقوم به منه واداء الحق في حقه ليدبر سره .

### المطالب السامية في المجمع وكيفية الدعوة اليها ؟

من حسن النضر أن يكون الدعوة إلى المطالب العظيمة السامية بطريق  
 انشروني واستودع السمع للمستلحة كان مستودع المستلح بما هو أيسر  
 صريحه وعلا أو أقرب إلى المألوف والمقبول لدى الأمة أو أظهر  
 حكمه وقاعدة لمقولتهم . وعلى هذه القاعدة وضع الاسلام سياسته  
 العكسية . إذ يطأ إلى الشريعة الاسلامي لوجدنا أنه أمر بالصلاة  
 وسكن من الكلام في أساء الصلاة ثم نهى عنه وجعله من مبطلاتها ،  
 وأمر بالإساق على وجه الطوع فدنة إلى الله تعالى وتم صلا لرصاء ،  
 ثم نهى عن فريضة الزكاة ، ومنه على مفسده الحمر بقوله تعالى (يسألونك  
 عن الخمر والميسر ، قل فيها اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما أكبر  
 من نفعهما)<sup>(٨٩)</sup> ثم منع منها في حال الصلاة خاصة بأسلوب حكيم فقال  
 (لا تقر بوا الصلاة وأسم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)<sup>(٩٠)</sup> ثم حرمها  
 في كل حال تحرما لا هوادة فيها فقال (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر  
 والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم

(٨٦) الآية ٥ من نوح .

(٨٧) (٨٨) الآيات الثلاث من نفس السورة .

(٨٩) الآية ٢١٩ البقرة .

(٩٠) الآية ٤٢ النساء .

تفليحور) (٩١) • روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أنه قال : لو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين وبالقرآن دفعة لثقت هذه التكاليف علينا ، فما كنا ندخل في الاسلام ، ولكنه دعانا الى كلمة واحدة ، فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءه كلمة بعد كلمة ، على سبيل الرفق ، الى أن أتم الله دينه وأكمل شريعته ، وورد عن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز أن ابنه عبد الملك قال لوالده : مالك يا والدي لا تنفذ الأمور (في حينها) ؟ فوالله لا أبالي لو أن القدر غلبت بي وبك في الحق - فقال له الخليفة عمر : لا تعجل يا بني ، فإن الله ذم الخمر مرتين ، وحرّمها في الثالثة . وانني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة واحدة فيدفعوه جملة واحدة وتكون من ذا فتنة • فقال عبد الملك لوالده العادل وفي ذلك الخير كل الخير •

**كيف ندعو الى أمر فيه صعوبة ومشقة ؟**

**وكيف السبيل الى ذلك ؟**

على الداعية أن يضع نصب عينيه تمهيدا يخفف وقعه على السامعين ويقلل شأنه ، حتى لا تكبره النفوس وترتخي دونه المرائم خورا •

مثال هذا ما سلكه التنزيل في التكاليف الشرعية وفي التكليف بفرضية الصيام حيث شرعه أولا في أمر مجمل فقال (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (٩٢) وبين أن هذا العرض من القرية قد فرض على الأمم السابقة فقال عز شأنه (كما كتب على الذين من قبلكم) (٩٣) فذلك عمل مألوف وشرعة غير خاصة ، وفي هذه التذكيرة ما يدخله من قبيل السنن الجارية

(٩١) الآية ٩٠ لسانه •

(٩٢) الآية ١٨٢ البقرة •

(٩٣) الآية ١٨٣ نفس سورة البقرة •

و يجعله مراهباً ثم اشهرهم ابن ابي عمير في الحساب فبنت فقال تعالى  
 (أيما معبوداً) ٩٠ وبعد أن هب العوسر لقبول و يسته قل سهر  
 رسال الذي أرسل فيه القرآن هب للناس و يمان من الهدي والعراق  
 فمن سهر منكم السهر فليسته ٩١ يعني بعد أن يبر لهم حقيقة الصيام  
 و صينه عنكم و علي من قبلكم من الأثم و هوون عليهم أياته من هم  
 صيامه وقال (من نهى منكم السهر فليسته) ٩٢ وهكذا جرى التبريل  
 على هذه السنة عند التبريل في أن صعب المكن شديد الأثر على  
 العسر وهو الصبر على الأثر و يقابل له الاسم بالاحسان و هو  
 بالعدل في المحرو و بهي عن محاور النزل في العقوبة فقال (و ر عاقتم  
 و عاقتمو بمنزل عوفتم ٩٣) ثم رز في قوله حل شانه (ولئن صبرتم  
 لهو خير للصائرين) أن الأكل لهم الإحصاء من السنة و سرك المؤاجدة  
 عندها فالصبر عن الأثر مع القدرة على الانتقام نوع من سكارم  
 الأخلاق و مظهر من مظاهر الرحمة حتى قال سبحانه (واصبر وما صبرك  
 الا بالله) ٩٤ ثم عبت حلت حكمته في الصبر عند الأذى والأثم بطريق  
 أسع إذ وجه الخطاب به إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وهو  
 أسرع الناس إلى الانتقام على الطريق فيجدون من سنته التماسي به  
 عنده الصلاة والسلام شاملاً للطاعة و اعثا على النجمل بالصبر  
 وان ثقلت على النفوس وطاته .

و يفار هذا النوع من السياسة أن يأخذ الداعي في تقرير المصالح  
 بوجه عام حتى يأس لها الناس و يتفقهوا في طرق الخير على سبيل  
 الاجمال ، ثم يندبهم إلى الأعمال المدرجة تحتها ببيان و تفصيل ، فان  
 من سهر على استر قبول التصايا الكليه ، و قلما نارعوا في صحتها .  
 و أكثر من يقع من الناس انكار الحقائق حتى لو كانت واضحة و صوح

(٩١) الآية ١٨٢ من سورة لقمان  
 (٩٢) الآية ١٨٥ البقرة -  
 (٩٣) نفس الآية والسورة  
 (٩٤) الآية ١٢٧ التحمل .

الشمس في رائحة\* النهار فأكثر ما يقع منهم الانتكار والاختلاف في المسائل الجريئة وأحكام النوازل المعينة . وعلى هذا الأساس المكين والنمط الواضح أدار الاسلام سياسته . فأسس معظم قواعده العامة بمكة . وشرع أكثر الأحكام الفرعية بالمدينة المنورة على منورها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

ومن حسن سياسته الداعية ألا يجهر براهيه الصريح في صدر مقاله أو في مقدمة حديثه وإنما يبتدئ بما يخفف على المخاطبين سماعه من المعاني الدائرة حول الفرص الذي يرمي اليه ثم يعبر عن المراد بلفظ مجمل ويدنو من ايضاحه شيئاً فشيئاً حتى لا يفصح عنه الا وقد ألفت واستساغته نفوسهم ، وهدأت له حواطيرهم ، وعلى هذه الطريقة جرى ذلك المؤمن من آل فرعون ، فقد كان يكتم ايمانه وهو يحب أن يظهره ويدعو قومه الى مثله ، لكنه كان يخشى من التصريح بعقيدته لما رأى عليهم من آثار وبوارد الغضب وحسب الانتقام منه ومن أمثاله حتى اغتنم وقت اجماعهم على قتل موسى عليه الصلاة والسلام واهتبل فرصة التنكر له وإن أمن معه وقام ينكر عليهم هذه المؤامرة المخزية وتخلص الى أن دعاهم الى الايمان بما بعث به هذا الرسول دعوة ظاهرة ، قال تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه . أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟) (٩٨) نعم فاتهم بالانكار على قتله وهو لا يدل على أنه مصدق برسالته ، ف قد ينهى العاقل عن سفك دم الرجل أو اضطهاده ، وهو من أبعض الناس اليه ، تألم من مشهد الظلم والاستبداد أو حذراً مما ينشأ عنه من فتنة ، ودل بقوله (أن يقول ربي الله) على ما لهذا الرجل من فصل في العمل وثبات على العقيدة ، وأوما الى أنه لم يأت شيئاً منكراً يستحق به هذه العقوبة الصارمة وذكرهم اذ قال (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي بالدلائل القائمة على صدقه في دعوى الرسالة ، وقد أخذ

ينصرف بهذه الحمدة من دعوتهم إلى الإيمان به . ومن يرد المصاهر به  
 من سيئته فعزل نفسه عن طاعتهم بهذه العيئات واصناف محيئها اليهم  
 خاصة ، ثم استرسل في موعظه المسبحة في أدب الانصاف إلى أن صدع  
 ببصائر نخلهم . ودعاهم إلى دين الحق بقوله الصريح . قال تعالى فيما  
 يقصه عنه (ويا قوم مالي أدعوكم إلى الحق ويدعوني إلى الباطل)<sup>(١٩)</sup>  
 ويدعوني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي . علم . وأنا أدعوكم إلى  
 العزير العمار)<sup>(٢٠)</sup> . نعم قد سلك الرب والواسط والخطيب عن  
 بعض ما يكون حقا . أو يتعبد به بعاره محملة وذات وجهين .  
 إذا لم يساعد الحال على أن تصدع الحق ذراعا من التصريح به  
 أرجح من نفعه . أحل ليس له أن يقول غير الحق بفساد أن يتألف  
 ويتجمع أصحاب السوء والمبادئ الهدامة . والمذاهب الزائفة  
 ويستدرجهم إلى ما يورده بعده . أو يسنه في حديثه من الحقائق والأدلة  
 المأصحة السامعة لمعتقداتهم وأوهامهم . واستحسن المفسر المعروف  
 الإمام فخر الدين البرقي هذا الصنيع وهذا الأسلوب وعده من حكمة  
 المتشابه في السرييل . وحمل قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام في  
 مخاطبة قومه الواردة في كتاب الله تعالى (هذا رمي)<sup>(٢١)</sup> . مثيرا إلى التعم  
 ثم القوم ثم المشعشع . وقد ذكر المحققون للمتشابه وجوها أظهر من  
 هذا الوجه . وهموا قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام على غير هذا  
 التأويل . وهناك حكمة الحكم . وهي أن يسبق الداعية إلى العمل بما  
 يأمر الناس . فقد يكون اقتداء هؤلاء الناس بأفعال المصالح أقرب من  
 اتباعهم لأقواله . ويشهد لذلك سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في شرع  
 الأحكام فتراه في بعض الأحيان يصرح بالادب في أشياء فلا يبادرون  
 إلى فعلها ويستمرون على الاعراض والاحكام عنها حتى يقررها بالعمل  
 هذا أولا . وأما ثانيا . فأنك تراه قد أدن لهم . وهم على سفر بالافطار  
 شهر رمضان . وفي هو صائما . فلم يقطعوا صومهم حتى عمد إلى

(١٩) (٧٠٠) الاختلاف من سورة التين .

(٢٠) الآية ٧٨ الأنعام

المطر فحفوا الى الاقتداء بفعله ، وأفطروا ، وأدن لهم في نكاح من كن أرواجا لأدعيائهم ، فشق عليهم أن يخرقوا هذه العادة ، حتى تزوج صلى الله عليه وسلم بزينب بعد أن فارقها مولاه زيد ، وفي هذا المعنى نزلت آية ( فلما قضى زيد منها وطرا روجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أدعيائهم اذا قصوا منهم وطرا وكان أمر الله مفعولا ) ١٠٠٠ . أسلوب صحيح في تأليف الجاهلين أو المفسدين أو الشاذين وتهيتهم الى قبول الاصلاح .

من الأساليب الناجمة المدللة لأسباب الدعوة أمور لا عسى عنها وهي كما يلي :

- أ - بسط المعروف في وجوههم .
- ب - التودد اليهم بشيء من حطام الدنيا .
- ج - مواجهتهم ببسط الوجه والكلام الجميل .
- د - التواضع لهم لله لا رياء ولا سمعة .
- هـ - مصافحتهم براحة كريمة بسببها يذهب المل من قلوبهم لقوله صلى الله عليه وسلم « تصافحوا يذهب المل من قلوبكم » .
- و - المطف عليهم في الكريات والشدائد لتلين قلوبهم الى قبول الموعظة .

ز - اداء النصيحة لهم بلطف ودون عنف وليكن نصحتك للشاذ منهم على انفراد ودون توبيخ وتقرع كما قال الشافعي رضي الله عنه :

تعهدني بصحك في انفراد      وجنبي النصيحة في الجماعة  
فأنا الصبح بين الناس نوع      من التوبيخ لا أرى استماعه

١٠٠٠ الآية ٢٧ الأحزاب .



ذلك لأن السموس محبولة على من احسب ليها ركب قبل  
وما قتل الأحرار كالعصاة عنهم ومن لك بالحر الذي يعطى اليد  
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم ضررت

فهذه الأساليب الناجعة ينهذ السبل لقبول ما يعرضه على الناس  
من مصاحبه وحقا ان السموس مطبوعة على مصافاة من يلبسها نعمة  
أو يستدي اليها معروفها ومكرمة أو يقبض عليها حرا ومثل هذه الحكم  
العامة انى القراء الكريم على ذكر المؤلفه قلوبهم فقال تعالى (است  
الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفه قلوبهم . وفي  
الرقاب والعمارين . وفي سبيل الله وابن السبيل . فريضة من الله والله  
عليم حكيم) (١٠٤) .

متى يكون السكوت عن الدعوة ؟

تسقط فريضة الصبح والدعوة الى الحق في موضعين

أحدهما أن يشأ عن الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر مفسدة  
اعظم وأخطر وذلك ما يقتضيه قاعدة ارتكاب أحسن الضررين أو  
تعارضاً ومن شواهد هذا القول أن النبي صلى الله عليه وسلم كره من  
الصحابة في المسجد أن يثوروا على الأعرابي الذي مال داخل المسجد  
حتى قطع بوله من صياحهم وصحيحهم فنهاهم عن ذلك وقال «انتم  
بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» نعم المول في المسجد حرام وفيه  
تلطيح وتقدير لمحل العبادة بسبب ندسته ولكن في قطعه عن شرع  
فيه مفسدة أكبر منه ، وهي ما يحدث عنه من علة في البذر (وهي حصر  
البول) المؤذي الى ضرر الحسم والنفاضة تزال بالماء وذلك أمر لا  
ضرر فيه ولا صعوبة .

١٢ الآية ٦ من سورة البقرة

ومن العلل ما يعجز عنه الطبيب ويتعطل فيه رأيه ، ويخونه فيه الدوام ، واعتناء الاسلام بالمحافظة على سلامة الأبدان غير قليل بل هو واضح معروف فالعبادة في حالة المرض لا تؤدي على وجهها الصحيح ومثل هذا أن يكون مرتكب المنكر والضلالة ممن يطعم على الداعي ويستنكف أن يكون بمنزلة المعرض عن ارشاده أو تذكيره فيأخذه الاعجاب بسطوته الى ارتكاب جهالة ومنكر أفضح مما ارتكبه أولا بقصد اعاطة داعيه الى الخير للمرض المستكن<sup>(١٠٤)</sup> في نفسه حتى يتظاهر بالعلو في مخالفة أمره ونهيه .

قد تقع فتن هناك فقد يترك بعض العامة سنة أو يفعلون بدعة وقد يكون أسرهم بالسنتهم أو نهيمهم عن البدعة سبب فتنة في المسجد أو غيره ، وهي مسألة بسيطة لا تتجاوز القلم أو اللسان فإذا شد المصحح قلبه باخلاص وتحري الأدب جهده ، فلا جرم أن يكون لدعوته الأثر النافذ والماقية الحسنة ، وليس السكوت عن صنيعهم أو التمعل في تأويله والفتوى بصحته الا مداخته وإيثاره للخلق على الحق ، ولا يتبس بهذه الخصلة المنكرة الا قصر النظر أو ضعف الإرادة .

نعم لا حق لأحد في كتمان ما فرض الله عليه معرفته معتذرا بالخوف من أن يقع المخاطبون في سوء فهم أو اضطراب فكر ، فان هذا النوع من العلم لا تعار في ادراكه المقول ، وانما يقوم مثل هذا معذرة للسكوت عن الحق الذي لم يكلف الناس بعلمه وذلك ككون السموات من ذهب أو من فضة أو من حجارة فالخلق لا يكلفون معرفة هذه الأشياء .

وهناك مسائل خلافية مذهبية وهناك مسائل في الأصول وأخرى في الفروع : لا حاجة الى بحثها كقصة أبوي النبي صلى الله عليه وسلم هل هما من أهل الفترة أم لا ؟ أما الأصول وهي العقيدة الاسلامية فهي

لعبده الحق بالاسلام وهو الصمد . وكانه مضاربعه العبيد  
 سلالهيب و لسوات والسعياء . وهذه لا جدال فيها ولا خلاف أم  
 المسائل الاخرى الخلافية بين الامة والعلماء من تقديمين ومتأخرين  
 فلا حاجة الى بحثها وبشيب آرهان امانة بها فما عليه الا أن يحدد ما  
 ستقرت عليه أحوال الائمة الاربعة ولا حاجة لما الى طرق مذهب أخرى  
 بقصد سها البسلة والترعم «التعصب الذي لا حاجة له ولا داعي  
 للاقتراب منه »

هناك نسب اسلافي في البقة «الخطا» والاعط «الدريس» والارشاد  
 ليس فيها ترديد ولا تعقيد .

قال الامام علي كرم الله وجهه وحدثوا الناس بما فهمون (١)  
 أصبحوا أن يكتب الله ورسوله « ومثل هذا حديث عائشة أم المؤمنين  
 رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا عائشة  
 بولا قومك حديث عهدهم بكفر» وفي رواية «بجاهلية» لنقصت الكمية  
 فحسبت لها ما بين باب يدخل الناس وب يرحون والذي تحاشاه وتحاشاه  
 عليه الصلاة والسلام أن يطر بعضهم لقرب عهدهم بالاسلام — أنه  
 غير بناء الكمية لينفرد بالفخر عنهم .

### « الأمر الثاني في لزوم السكوت »

أن يوقعه الأمر أو النهي في بلاء . ويلحق به صمرا ماديا حسيميا  
 وأديبا فارحا وقد ساء الامام المرالي من هذا البلاء الاستخفاف بالداعي  
 على وجه يرري بكرامته وهذا قد يكون عدرا في انصرافه عن دعوته  
 طائفة خاصة عرف منها هذا الحلق اللينيم الدميم . مع أنه لا يصح أن  
 يكون عدرا في الاجحام والاعراض عن دعوة الأمة الى صالح الأعمال وأن  
 وجد فيها طرفة تطلق أسننها بسباب المصلحين والداعين وتساھتهم  
 في المجامع أو الصحف بخير حساب .

(١٠٠) نهج البلاغة .

اتخذ بعض المروجين والمفرضين هذا السباب والمباهة سلاحاً يشهرونه في وجوه المصلحين ، في وجوه من يعترضون دعايتهم ويسمھون أعمالهم وأحلامهم ويقاطونهم بالانكار ، ولو كان مثل هذا الأذى يحيز لأهل العلم أن يخلوا سبيلهم ويعصوا أعينهم عن منكراتهم وتماديهم وجرأتهم على الباطل لسرت تلك الدعاية مريان السم الناقع ، أو سريان النار في الهشيم ، ولوثت هذه الفطر السليمة برجس الفوادية ، ولا مزية في أن نية الاغواء أشد ايلا ما لعقلاء الأمة وأسوأ عاقبة من أن تنهش أعراضهم بالسنّة حداد .

ويرى الشيخ ابن عرفة وكثير من العلماء أن خوف الداعية العزل من منصبه لا يعد عذراً يسقط عن الدعاة فريضة النهي عن المنكر لما ورد ( أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقمراً أجلاً ولم يقطعا رزقاً ) وإذا كان هناك أحد ممن لا يرجون لله وقاراً قد يدعوهم الحرس على مركزه ومنصبه لينال سمعة طيبة وصيتاً فاخراً إلى أن يذود عن المصلحة العامة ويزدري الولاية ولا يبالي أن يصبح فارغاً من عمله مجرداً من قلادة ولايته . أفلا يليق بل أفلا يجدر بأهل التوحيد الخالص والایمار الراسخ ما داموا يستيقنون أن الله يرزق الداعي إلى الحق والاصلاح من حيث لا يحتسب - أن يكونوا أرهد الناس في المنصب أو المركز الذي يطوي ألسنة العلماء عن قول الحق أو يحملهم على مجارة سلطان أم كبير أو رئيس لا ينهي النفس عن الهوى .

إذا اعتقد الداعي إلى الحق بما يناله من عذاب وبلاء فهو في سعة واختيار من تحمل الأذى أو طلب السلامة فإن شاء أخذ بالعريضة «الواجب الديني أو المفروض عليه شرعاً» ورفع صوته بالدعوة إلى الاصلاح وان شاء تمسك وأخذ بالرخصة (اللامبالاة) تنكم التي يستمسك بها المستضعفون من الرجال والنساء .

نفر من علماء الإسلام مضروب الأمثال .

## الى قيام الساعة

لقد اثر جماعة من علماء الاسلام لقوة غيرتهم وحرصهم على العدل وشديدهم رعتهم في عمل الصالحات أن باحدوا وحافظوا على كرامة العلم والعلماء ظلوا شامرين على الجهر بالنصيحة والوعظ والارشاد ذاكرين قول الله تعالى (ولكن منكم أمة توعون الى الهدى ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) <sup>(١٠٦)</sup> واصبح مصداقهم قول المرتد الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ، ولكتابه ، ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) <sup>(١٠٧)</sup> وما ذلك الا لقوة غيرتهم على العدل وشدهم رعتهم في عمل الصالحات لقد أخذوا بالعزم وحافظوا على الجهر بالايمان ولو كره المجرمون والمفسدون جهرهم بالحق وأدأقوهم من ألوان جورهم عذابا اليما ، ومن موافقهم في هذا أن أن السلطان اسماعيل وإلى الأهرنج سلم لهم (صيدا) وغيرها من الحصون ليسعدوه على الملك نعم الدين أيوب فأمر عليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ العلماء هذه الملة الحائنة فغضب عليه السلطان وعزله عن مناصبه ، وأمر باعتقاله ، ثم بعث اليه من يعده ويمنيه لعله يرجع عن انكاره ويرضى ، فجاءه الرسول وقال له : (تعاد اليك مناصبك وريادة وما عليك الا أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير) وما كان جواب العربي عبد السلام سلطان العلماء الا أن قل له (والله ما أرضاه أن يقبل يدي فضلا عن أن أقبل يده ، يا قوم أنتم في واد وأنا في واد) .

(١٠٦) الآية ١٠٤ آل عمران .

(١٠٧) رواد البخاري ومسلم والترمذي .

## ما هي العائل التي أهملت الدعوة بسببها ؟

غريب جدا وعجيب أن يعرف الرجل مناهج الصلاح ، ويبصر طائفة من قومه يتهافتون على عماية أو يبيعون في جهالة ، ولا تهض به الهمة ليعمل على إيقاظهم وإحلالهم على معالم فوزهم ونجحهم ؟

## ما هو منشأ هذا التقصير ؟

إذا حاولنا البحث عن أسباب ومنشأ هذا التقصير ، ورجعنا البصر كرتين ، وجدنا مدار علته الفاترة ترجع إلى عشرة أسباب :

السبب الأول : المداهنة ، فمن أهل العلم (ولا أعتقد أنه من أهل العلم) من يرى دائما جاه أو رئاسة يهتك ستر الأدب أو يعثو في الأرض فسادا فيتغابي عن سمعه أو بغيه ويطوى دونه التذكرة والموعظة ابتغاء مرضاته أو حرصا على مكانة أو عيمة ينالها على يديه ، ومن البديهة أن المترفين ومن ينحو نحوهم في الريغ والفرور لا يكتفون ممن يسوقه الزمن إلى نواديهم أن يسكت عن جهلهم ، ويتركهم وشأنهم ، وإنما يرضيهم منه أن يرين لهم سوء عملهم أو يرمقهم بعين مكحولة يبتسم الاستحسان وهو أقل شيء يستحق به في نظرهم لقب حسن ظريف .

والمداهنة خلق قذر لا ينحط فيه إلا من خف في العلم وزنه أو من نشأ نشأة صغار<sup>(١٠٨)</sup> ومهانة ، وهذا تاريخ العلماء الراسخين ناطق بما كان لهم من الاقدام على وعظ الأمر والانكار عليهم إذا أساؤا التصرف أو أهملوا قال عز الدين بن عبد السلام للسلطان نجم الدين أيوب في مجلس حافل برجال الدولة : يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أيوب لك ملك مصر ثم تبيع الخمر ؟ فقال : هل جرى هذا فقال : نعم ، الحانة القلانية يباع فيها الخمر وغيرها من المنكرات .

(١٠٨) الصغار مالفح النك والضم وكذا الصغر بضم الصاد .

وأنت تتقلب في نعمة هذه الملكة . فقال هذا أنا ما عملته ، هذا من رسر أبي فقال أنت من الذين يقولون (أنا وجدنا ناءنا على أمة) <sup>٩</sup> فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة (أي أمر بالحاء ما فيها) جاء ذلك في طبقات الشافعية لابن السبكي .

نعم إن السلطة السياسية تنتقل أطوارا . وإن موقف العلماء أمام الأوامر يختلف على قدر ما يكون للمالم من مكانة في قلوب الأمة . وعلى قدر ما يكون للأمر من حماقة أو أناة واختلاف السياسة أطوارا أو اختلاف مواقف العلماء أمام الأوامر أما يقتضي أن يكون لكل طود سياسي أو لموقف كل عالم أملوب في الدعوة بطلاق مقتضى الحال والأمر الواقع . أما أصل دعوه المسؤولين إلى حق أو عمل صالح فشرعيه قاسمة ، وعز الدين بن عبد السلام هو أحد علماء هذا العصر في احتمال أمثتها ووجوب تحريم الدمة بأدائها على حد سواء .

الثاني . صعب الجأش وقلة الصبر على المكاره ، وهو خلق يقطع لسان صاحبه عن قول الحق عافة إلا - نصي بعض الناس قوله فيضمروا له البغضاء ويسوموه أذى أو تهكما :

وكسم سقت في آثارهم من نصيحة

وقد يستفيد البغضة المتنصيح

هذا وقد تعرض الكتاب العزيز لخصلة الاستهزاء بالمرشدين وأنه على أنها عادة مألوفة وأذى يعترض طريق كل مناد بالإصلاح قال تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) <sup>(١٠)</sup> وقد يقص علينا القرآن من بذائهم وذكورهم

(١٠٦) آية ٢٢ الزحرف .

(١١٠) الأتاذ من سورة الحجر .

ما يصح أن يكون من حكمة تسليية الدعاة وتأكيد عزمهم على مواصلة الدعوة وقلة الاكتراث بما يلاقونه من شغب وإساءة ، فإذا لقي رسل الله عبيهم الصلاة والسلام من سفهاء القوم أذى كثيرا فأغضوا عنه وداسوه بأقدامهم فلا يسع غيرهم ممن يريد الخير لأمتة إلا أن ينصح لهم ويمتج في طرق الهداية أبصارهم ولا يبالي بمن ينخص إليه رأسه ساخرا ، أو يطلق فيه لسانه لامزا •

الثالث : كثير من الحاكمين من تجنح بهم أهواؤهم عن ناحية العدل لا يرقبون لمضيلة العفاف عهدا ، فيكيدون لكل ما من شأنه الدعوة والإصلاح لكيلا يتعرض لسيرتهم أو يتناول على نقد سياستهم ، وهذا المضرب من الاستبداد يلقي في النفوس الضعيفة حذرا بالغا ويقذب المعارفين بطرق الإصلاح إلى حال الغافلين عنه فتراهم ينظرون إلى الفساد يتقرب في البلاد كأنهم لا يبصرون قد يعدر أمثال هؤلاء في عدم التعرض لأحوال الرؤساء المستبدين حيث اعتقدوا أن خوضهم فيها يسوقهم إلى عقوبة لا مذاقة لهم بها ، ولا عذر لأحد في الصمت عن التذكير جملة إلا إذا بلغ هؤلاء المستبدون أن يضموا عقوبتهم على ظهر كل من يهوى عن منكر ، ولو لم يكن له صلة بسياستهم الخاطئة ، ولملك لا تجد في أنباء الدول من يتخبطه شيطان الاستبداد حتى يسطو على كل من ينطق بالحكمة والموعظة وواجب العلماء أن يقوموا بالإصلاح والارشاد في دائرة الامكان •

الرابع أن يعلو العالم في الورع فيأبى الذهاب إلى حيث يأمر بمعروف أو يهوى عن منكر حذرا من أن يعشى نادى مسكر ، أو يختلط بصاحبه ضلالة •

الخامس . أن يقوم الواعظ بالارشاد فلا يجد ممن فيهم الكفاية مساعدا ، وربما أدخلوا في قلبه اليأس وسدوا باب الأمل في وجهه



معتسدين على ، غور هناد ابومان وعام ائده البسيحة عند عبه الناس  
وهو احاطر الذي يبر اعداء الادب أن يستقر في نفس كل مؤمن  
فيحدوا من حول اهل العلم وكسلهم ما يشط بهم الى أن يدوا  
الى الخروج على الفضيلة وهم امتون .

السادس أن يجد العالم في سمته سيئة أو سباب فتفى في نفسه  
الندة والهمة وترك الارصاد حذرا من أن يلزمه بها الناس حين يقوم  
بينهم مقام الواعظ الامير والمادة من ان يحرج الناس في ثوب مرشد  
وقد علقب سريره وصيته لم يلثوا ان يذكروه بها ويستهوه

يا أيها الرجل المعلم عزمه عسلا لنسك كال دا التعظيم  
ابدا سمسك فابها عن عيها فاذا انتهت عنه فارت حكيم  
لا تدع عس خلق وتأتي مثله عار علمك اذا فعب عظيم

فيسعي لمعالم أن يكون ذا نفس ركية وساحة مقية ، حتى لا يكون  
الجل في سيرته كالشجا يقف له في لهاته ، ويمتنع من هداية المسرفين ،  
وعلى أي حال كان لا يلق به الاحكام عن الارشاد والتوجيه كما قيل في  
حق من يعرف المنكر ويقارقه (يبيعي لندر الكاس أن يسكر على الخلاس)  
يعني أنه لو فرض أن رجلا شامت الأقدار أن يرتكب منكرا وسعروف عنه  
أنه لا يرضى به فعليه أن يكره على الناس ولا يحور له بحال أن يترك  
الشيء عن المنكرات اذا كان يأتي بعضها لسوء التقدير ولعدم معرفة  
ما يترتب على ارتكابه في العاقبة بل عليه أن يفكر ذلك على فاعليه  
منبها لهم ومحدرا عما وقع الناس فيه فان ما يعرفه له الناس من رلل  
قد يصرف عنه وجود العامة ويقعد بهم عن سماع موعظته ، أما الخاصة  
فربما انتصموا بدعوته الموصلة بالحجة الدامعة أو ببيان الحكمة الصائبة .

السابع - قد تنشبت العداوة بين الرجل والعنة الباعية الجاهلة  
فتمسك لسانه عن نصيحتهم وانذارهم ليتماذوا في ضلال ويتساقطوا

على عمل يهوي بهم في مكان سحيق وقد خادعت هذا البائس نفسه فرمت به في غش وساقته الى التهاون بواجب النصيحة .

الثامن : قد تفيض الرأفة والشفقة على فؤاد الرجل وتطفئ على حبه للإصلاح فترده عن نهى شخص فيه كلفة - أجل الشفقة أو الرأفة هي كسائر المناقب والفضائل التي اذا أقرط منها الانسان في موطن الإصلاح خرجت به الى الضعف والى مالا يسمى فضيلة وقد حذرنا القرآن عن مثل هذه الرأفة وعن مثل هذه العاطفة الطاغية فقال تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (١١١) .

فالحجود والنظم والقوانين انما وضعت لحفظ مصالح العباد واستيفاء الحقوق لهم ومنهم كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم خطبته في مستهل خلافته (القوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق والضعيف منكم قوي عندي حتى آخذ له الحق) . فيجب ألا يكون للرأفة الداعية الى الاخلال بشيء من اقامتها أثر يرى فقد ورد فيما أخرجه ابن جرير في تاريخه عن سالم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا سمع المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله وخاصته من بيته فقال : اني نهيت الناس اليوم عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير ، وأقسم بالله لا أجد أحدا منكم فعله الا أضعفت عليه العقوبة لمكانه مني .

التاسع أن يكون المستحق لأن يوجه اليه الداعية أمره أو نهيه مثل أب مطاع أو معلم ذي فضل فيبلغ به الحياء منه والاحترام لمقامه أن يصمت ولا يتكلم في دعوته المشعرة بنسبته الى جهالة أو خطيئة وفيما قصه الله علينا من موعظة ابراهيم عليه الصلاة والسلام لعمة أزر

(١١١) الآية ٢ النور .



«لعلهم وهم منه برأوا» (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولوا الا كذبا) (١١٣) برر الاتحاد على لعابهم وقالوا أمرا منكرا من القول وزورا قد بدت الاختلافات على ألسنتهم وصفاقة المجان بادية بارزة على وجوههم وب تخفي صدورهم أكبر ، لذا فان أهل العلم يرون أن مثل هذه الأمور يبثها بعض أدعياء العلم ليجعلوا لهم مكانة بين الناس ( خالف تعرف ) وهي فتنة لم يسبق لها مثيل فيما سلف الا من طائفة الخوارج الانثى عشرية فيهاب الداعية ايقاتها ويغشى سطوتها ويحسب لها حسابا فيذوب أمامها ويوليها ظهره يائسا قانطلا .

ولو علم هذا الداعية والداعي الأثر المؤسف الذي تركه ولم يابه له لما أحجم عنها بل أقدم عليها اذ أنه لو علم ما هذه الفتنة الا جولة باطل (أما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) (١١٤)

نعم انها جولة باطل يتوكأ على قوة مادية العادية لا مستند لها ولا دليل ولا برهان فمتى لقي هذا الباطل في سبيله الحقائق الدافعة تكتنفها البيات والبراهين ذهب جفاء ولا أثر له في نفوس يذهب المنطق الصحيح بين جهالتها وشهواتها ضائما غير موجود .

### « الأثر السيئ الذي ينجم عن ترك الدعوة »

قد يترك الداعية الأمين موعظة الناس لأنه يرى من ليس أهلا لدوعظ أو من يلبس ثوب الاصلاح وهو مستغل هدام مقذاح يطعن في أعراس الناس ويبهتهم ويصفهم بما لا يستحقون وهم عافون ، نعم قد يترك الخطابة أو الخطبة أو المحاضرة لظهور أناس مدفوعين لا يقام فتنة من فتنه تدعي الاسلام وتدعي الحق تدعي أنها صاحبة حق لتطعم نور هذا الخطيب أو الداعية المرموق فتقف على المنابر وي

(١١٣) الآية ٥ الكهف .

(١١٤) آية ١٧ الرعد .

حلقات الدروس : صفة الناس : واء مرع ما ما هو في الحقيقة الاداء يظهر  
 بمظهر الاصلاح اسمهم أهل من غسل السكر و قد بهم أمر من الصم  
 المر هو لاء الدين في عسى عن ارشادهم ليتهم لم يوجهوا ليتهم لم يتقوا  
 دغاة اصلاح و ارشاد ليسهم لم يتقوا موجهين ولا مصلحين ومن العجب  
 بل من العجب العجيب أنك ترى رجلا مخرجاً من كنية كاذبة تشيرية  
 ظاهرها فيه شبه الرحمة (باطلها من فله العذاب عنها طلاء الاصلاح  
 ودهانه محتصب سادة الكيسية والطبيبات فلازم من و سر عامص فما هي  
 الا ايام و دابة ينم داعيا ومثما في الاسلام : و الناس الى انطلاق  
 العلم من المساجد و دور العلم يتصدر للعلم والوحيه بسفمه مسؤولا  
 وقد يقول في توصيهااته نريد أن يملك الاصلاح الديني من المساجد  
 وينتهي دور العلم والجامعات لتب شرى فمن أين له هذا ؟ ومن أين  
 جاء هذا ؟ المطلق التشيري المرحوف ؟ ومن العجب العجيب أنك تترى  
 المداهين والمروحين يروجون دعوتهم ويؤيدون فكرته وهو من أسامه  
 حصو من دعوة الاسلام وهو و أمثاله ماحورون لدى دول أخرى كما ثبت في  
 الوثائق الرسمية . فالدعاة عندما يرون أمثال هؤلاء يؤيدهم جهات  
 مسئولة تتعاضدون عن الدعوة في اصدار محمول ومكان محدود وزمن  
 محدود تاركين فيه الأمر لله ليبيما تعود العكوة وتدرك العدة وبيما  
 يصحوا كل مفتون بأمثال هؤلاء من العلة .

أجل قد ينروي العارفين بوجوه الاصلاح في رفع البعي لواءه ، ويبقى  
 احوان الفساد وقاعدة المكر والعباد يترددون على نوادي المنكرات  
 والسفي يضرب على الأمة الدلة والمسكنة ، والانهماك في المنكرات يعميت  
 حصال الخير والرحولة والنهامة . وذا تغشى وساء البعي والفساد  
 تداعت الاحلاق الفاصلة الى سقوط وانهار صرح الفضيلة الى ضعف  
 وتصيب ماء الحيم من الوحوه ، ووهت رابطة الاتحاد في القلوب ،  
 وتضاعلت الهمم عن معالي الأمور ، وقلت الرعة في الآداب والعلوم  
 وما عاقبة أمة مصابة بالدلة والاحجام والجهل والعمق والاحتلاف في  
 سبيل البر وانتقوى الا الدمار الذي تنتلي به الأمم المتعطرة العاشية

الا الويل والدمار كما قال تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترقيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (١١٥) .

ومن أكبر الدمار الذي ابتليت به الأمم القاسقة أن تقع ناصيتها في قبضة خصمها العنيد وجاء في التنزيل الحكيم ما يفيد أن لمرتكبي فاحشة الظلم والاستبداد عاقبه ووسيلته هي وقوعهم تحت سيطرة الجهلاء بالعواقب الظالمين الباغين قال تعالى (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) (١١٦) .

ولا يحسب الذين ينقطعون عن رشاد الضالين ووعظ المسرفين أمثال هؤلاء المنافقين المروجين الدين يثبون دعايات خادعة كادبة تظهر مسؤولهم بمظهر العالم الخبير والناقد البصير مع أنه كيماوي طبيعي استسلامي امعة لا يحسب هؤلاء أنهم بمنجاة ومعزل عن المسؤولية أمام الله لا يظن هؤلاء المقبلون على شأنهم في اصلاح أنفسهم فحسب وترك هؤلاء التائهين هؤلاء المضللين المدلسين لا يظن هؤلاء أنهم غير مسؤولين أمام الله عن انروائهم وابتعادهم عن الدعوة مهما كانت الأعداد والأسباب الا اذا كان القيام بالدعوة سبب للدعاة ضررا لاحقا مؤكدا ، هذا وانك لتجد فيما تطالع من أبناء الأمم السابقة أن الأمة التي يجوش خلالها الظلم والفساد لا تلبث أن تسقط من شامخ عزها فاما أن تقبض عليها يد أجنبية ، واما أن تحل بها قارعة سماوية وما كان من نوع هاتين العقدين يتناول الأفراد الذين نصحوا لقومهم فلم يقبوا منهم النصيحة كما يتناول القادريين على الجهر بالنصيحة ولكنهم يجهرونها وورد في الصحيح عن زينب بنت جحش ، قالت : (قمت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟؟ قال نعم اذا كثر الخبيث - وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع آباء (عمر) يقول : قال رسول الله

١١٥) الآية ١٦ الاسراء .

١١٦) الآية ١٢٩ الانعام .

صلى الله عليه وسلم رداً أن الله عدا الأصاب العباد من كان فيهم  
ثم معثوا على أعمالهم) ومن النلية في سكوت العباد عن الجهر بالحق  
أب العامة يتحدوه حجة على إتاحة المكافآت واستجسدها ، فإذا بهيتهم  
عن مدعة أو سبحة وصفت اليهم الدليل على فسحها وسخاقتها لما شرع  
الله أن كان حواهم فعلمنا هذا بمرأى أو مسجع من العالم فلان العلاني  
ولم يمتوض على أفعالنا ماكار وأحدا فوائد السوك بفتوى العماء  
وعملنا بالتأمين لا باحتهم له \*

ومن أثر السكوت على الدعوة والهاون بالارضاء ان يساوى المفسدون  
في لهورهم وسبهم وصلالهم ولا يصحوا في اساع شهواتهم عبد حد أو عاية  
فتقطع أعين الناس على هذه الماكر كثيرا فالفها قلوبهم لا سمعا اذا كان  
هناك تشاكل ونوافق في الطائفة والمرائر حتى لا يكادوا يشعرون  
بقبح مسطرها أو يتدبروا سوء عاقبتها ومن أثر هذا أن يقبل عليهم  
الحق بمره السامع ووجهه العيرل فتتفر منه ملذتهم وتجموه أدواقهم  
لأول ما يشرف عليها -

ومن أثر السكوت عن بيان الحق والجهر به والدعوة اليه أن شبت  
هذه الصفة التي تحاول القضاء على لاداب العامة أو الاداب الاسلامية  
الفاصلة والنظم الحكيمه ، ويهدى باسم هذا جديد وهذا قديم وهذا  
حمود وهذه رجمية وهذا حميدي وهذا تأخري ليوهموا الناس أنهم في  
منطلق جديد ولو أنه لا يمت بصلة الى الدين وأحيانا يقولون فلان  
عصري اذا رأوه يرفع صوته في الخطب التي لا يحسن شيئاً منها تراه  
يدعو الى عصبية جمجمة بلا طحن وحماسية وهناك تطهر أنصار الجديد  
والقديم ، وودوا لو بلغت باخلاصها للقوة التي يمد الاخلاص لها  
جريمة منكرا ان أخذت تدفع بعض شرائعها وأذئابها الى ايداء الأمة  
تصليل آبتئها والطنن في شريعته ويروجون للناس من الاشاعات  
والدعايات ما يبلبل أفكار عامة الناس ويقولون للناس هذا من أساطين

البحث في الأدب العربي وهذا عميد الأدب العربي وينسور أساطين البحث من واضعي الأدب والتربية كعبد الله بن مالك الأندلسي وسيبويه والخليل وابن جني والمتنبي وابن عصفور واضعي الحكمة والطب والعلوم والفلسفة أمثال ابن سينا والفارابي والامام الغزالي وابن رشد وابن يعيش جاهلين أو متجاهلين قرآنهم ولغة قرآنهم التي لولاها ما كان للأمة العربية أي مفخرة تستحق الذكر والخلود - هؤلاء العصريون يجدون لهم من يناصرهم على باطلهم يفعلون هذا وذلك وهم يعلمون ما فيه من تمزيق الصفوف وتمزيق رابطة الامة والمودة وصدد بناء الوحدة الراسخة بين الاخوة سائرين على نمط الحزبية والجماعات اللائقراطية ، يفعلون هذا وهم يعلمون أنهم سيجدون أفكارا ثابتة واعية وأقلاما سيالة تعمل على اصلاح شؤون الأمة ، وتجاهد في سبيل خلاصها مهما كنفها الشرس ومهما صادفت في طريقها وسبيها من المعوقات كأنهم يبتعون من وراء مشاغباتهم أن تنصرف الفئة الواعية عن تكلم الغاية السامية النبيلة وتقضي لزمن في جدالهم وكشف اللثام عن بنات أفكارهم ونواياهم الخبيثة السيئة ومواقع أهوائهم وهذا ما حصل مع المجاهدين الأولين فقد وقع الحوار بين السيف والقلم مرات ومرات حتى انتصر الحق الصراح على الباطل الهزيل ، وإذا كان ضرر مثل هذه الفئات على الحياة السياسية من باب أولى وهو ضرر يساوي ضررها على الحياة الأدبية فان تقويمها وحماية الشعوب من خطرها ووبائها لا يجب على رجال العلم ودعاة الاصلاح خاصة وانما هو حق واجب على كل من يعار على الأدب والنظام واطلاق الشعوب من قيود الاستعباد .

« لاحقة هامة لا يستغنى عنها عالم ولا واعظ ولا مرشد »

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد حدثنا قارم بن مردويه حدثنا محمد بن الفضل حدثنا علي بن عاصم (تلميذ أبي حنيفة) رضي الله عنه عن يحيى بن



[illegible]

وروى سعيد بن قيس عن قتادة بن دياربكر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أنت الذي سمع أمك رسول الله ؟ قال ( نعم ) قال فأي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال : ( الأيثار بالله ) قال ثم ماذا ؟ قال صلة الرحم ، قال ثم ماذا ؟ قال : ( الأمر المعروف والنهي عن المنكر ) قال فأي الأعمال أبعص إلى الله سبحانه وتعالى ؟ قال : ( الشكر بالله ) ثم ماذا ؟ قال : ( قطيعة الرحم ) قال ثم ماذا ؟ قال تراءى الأمر المعروف والنهي عن المنكر ) قال سفيان الثوري رحمه الله ( ما رأيت القارئ يروي رواية ( العالم ) محسناً في جرائه

(١٩٧٧) الأية ٧٦ الفقرة ٤

(١١٨) ٤٧٤ ٦٧ القرية .

محمودا عند اخوانه فاعلم أنه مداهن) ومعنى هذا أنه مهما رأى من جرائه واخوانه منكرا أو تهاونا لا يعرض نفسه لانتقادهم فلا ينتاهم عما هم عليه وكثير من الناس يتعلمون العلم الديني لغير وجه الله ليصيبوا به عرضا دنيويا أو جاها أو منزلة في قلوب الناس أو تقريبا من الحكام والمسؤولين ليماري بعلمه السفهاء (أي ليجادل) الجهلاء ويباهي ويمأخر به العلماء فهذا النوع من الناس لا يريد وجه الله والدار الآخرة يقول عليه الصلاة والسلام (ان ناسا من أمتي سيتفتقرون في الدين يقرأون القرآن والمراد بهم العلماء يقولون : نأتي الأمراء فنصيب من دنيهم ونعتزلهم بدِيننا ، ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتل الا الشوك كذلك لا يجتنى من قريبهم الا الخطايا •

وهذا الحديث أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما • ومعنى ذلك أن الاقتراب من قراء الدنيا لا يحصل ولا يفاد منه الا كما يستفاد ويحصل من الشوك (أي من شجر له شوك كشجر الفرقد مثلا كما ورد في الحديث الذي ذكر في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يغتصب اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خفي فتعال فاقتله الا الفرقد فانه من شجر اليهود) والفرقد نوع من شجر الشوك وهو معروف ببلاد بيت المقدس والخليل • وهأنت ذا ترى أن اليهود في اسرائيل صاروا يتحصنون بالسويد حول أراضينا لأنه حبيب لهم وما جاورها (باسم العوسج أو السويد) وسيكون هذا ويتحقق قريبا بإذن الله حتى ينتصر الحق على الباطل ويقول عليه الصلاة والسلام في البشاشة والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (تبسمك في وجه أخيك لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وافرأك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة) (١١٩) •

(١١٩) ابن ماجه البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه وابن حبان في الصحيح •

ثم قال وسنة ث لمرحل الرمي، و... لك صدقه هو الذي لا  
يستطيع المشي في المكاب... وكان عرصا بلوقوع في حفرة فحيتها  
عنها لك فيه صدقه... وهذه هي اشد اكية الاسلام الحقةمية، الباعة من  
صميم الشريعة العراق... وبعد فقد مال السمية العامل نصر بن محمد  
اس... اهيم السمرد يدي في كتابه «سنة العارفين» اشتط  
السي صلى الله عليه وسلم الفدة يعني اذا كانت العدة والدولة  
وانصولة لأهل النقي والصلاح والنواحب على أول الأمر أن يسموا أهل  
امعاصي من المعصية اذا ظهرها لان الله تعالى مدح هذه الأمة بسلك  
فقال (كنتم خير ما أخرجت للناس تادرون بالمعروف ونهون عن المنكر  
وتؤمنون بالله)\* فتعروف هو ما كان... واعلموا شريعة والمثل السليم  
الذي لا يصور المستحيل في الامكان والممكن ما كان محالفا للكتاب  
والمثل... \*

الامر بالمعروف لا يحور فيه المداينة ولا المحاملة يقول عليه الصلاة  
والسلام رسل المداين في حقوق الله تعالى والواقع فيها والقائم عليها  
كمثل ثلاثة رجال كانوا في سمية فاقسموا منازلهم وصدروا لأحدهم  
أعلاها ولأحدهم أوسطها ولأحدهم أسفلها فبينما هم كذلك إذ أخذ  
أحدهم القدوة فقالوا له ما تريد فقال أحرق في مكاسي حرقا فيكون  
الماء أقرب إلي ويكون فيها محلاني ومهراق مائي فقال بعضهم أتركوه  
أبعد الله يحرق في حمة ما شاء وقال بعضهم لا تدعوه يحرق السمينه  
فيهكننا جميعا ويهلك نفسه... فان هم أحدوا على يديه نجا ونجوا وان  
هم لم يأتوا على يديه (أي لم يمنعوه) هلكوا وهلك \*

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه  
قال (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا  
ظالم لا يعمل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو أحباركم وفي رواية  
(خياركم) فلا يستجاب لهم... وفي رواية في نهاية الحديث أو ليسلطن  
الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم... رواه البرار  
والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه... وعن

قال (إذا هابت أمتي أن يقولوا وفي رواية (أن تقول للظالم أنت ظالم فتودع منهم أو منها - وفي رواية فقد تودع منها -

وعلى العالم بالحكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون رحيمًا بالمسترشدين في أكثر أحيائه وألا في مواضع تنتهك فيها الحرمات يجب أن يفظ في القول ولا يبالى فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انتهكت محارم الله علا صوته وأحمر لونه وانتفخت أوداجه كأنه منذر جيش صيحهكم مساكم (وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) وليكن على بصيرة مما قاله المولى جل وعز (فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) (١٢٠) .

وعلى الواعظ أن يقصد بوعظه وجه الله والدار الآخرة أن أجره إلا على الله لا يريد من الناس جزاء ولا شكوراً قاصداً إعزاز دين الله فإذا ما فعل ذلك نصره الله تعالى ووفقه وأعزه ، أما إذا كان وعظه لحماية نفسه والتشفي بالناس أو كان قاصداً إظهار نفسه وفلسفة منطقته خذله الله تعالى ولا بأس بإيراد حادثة (أي قصة) سواء أكانت واقعية أم لا ، ويمكننا منها المفزى الذي نفيده منها فلا يصيح عند الله عمل عامل مؤمن من ذكر أو أنثى فالعالم المخلص الأمين المامل لا يسقم من أجره شيء في الحياة وبعد الممات كذلك المتصدق بصدقة جارية كذلك من غرس عرساً حميدة فزرقه الله ولداً صالحاً يكون مقتدياً به في آثاره وأعماله في حياته وبعد مماته يدعو الوالد بعد انتقاله من دار الفناء إلى دار البقاء فلا ينتظرن عالم أجره من الناس فإنهم مهما منحوا من الأجر منوا عليه ولكن يبقى أجره من الله الذي يدها مبسوطتان ولا يدخل بالمطاء أخرج الإمام أحمد في مسنده والطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت : من مات مرابطاً في سبيل الله ، ومن علم علماً أجري له علمه ،

ومن تصدق بصدقة فاجرها يجرى له ب وحسن . ورجل سرك ودا  
 صابحا فهو يدعوه) ثم وعده أنك أكره لك قصه دار معرى صالى  
 لتأخذ منها العبرة بقول ورد عن عكرمة رضى الله عنه أن رجلا  
 بشجرة تعبد من دون الله تعالى يعني أنه وجد مولد أشجرب بعدد وبرا  
 من دون الله فغضب غضبا شديدا وقال كيف تعبد هذه الشجرة من دون  
 الله لا ثم أنه أحد فأسه وموخذ نحو الشجرة استطاع بيده ففلسه فمسن  
 عليه بعد الله في الطريق على صورته انسان فقال له أى ابن " فله ل رأيت  
 شجرة تعبد من دون الله سر وجل فعادت الله أن توحده أجورها فتسلعها  
 فتدل له انيسر لعين مالك وللشجرة دعها مسبح الله ودع رخصتها  
 أيدهم الله تعالى دعهم ليوم الحساب فتعاصما وتصربا ثلاث مرات ون  
 كل مرة بعد الرجل شيطونه فلما عمر العيس عن اقتاعه ولم يرجع  
 ولم يسمع لقوله وما ضاقت به السبل قال للرجل الذى بهتم بداره  
 المنكر الذى راه ارجع معي رأيا أطيب: كل يوم ما يكفك ما مع كا  
 يوم مله فراك فتأخذ ما تكفيه من المال وقال الرجل اللهم رالم  
 المنكر أو تفعل ذلك؟ قال نعم صممت لك ذلك كل وه فرجع الرجل أن  
 مر له فوجد ذلك صحيحا مدة يومين أو ثلاثة أو ما شاء الله فلما صبح  
 بعد ذلك رفع طرفه فراه المم بر شيئا ثم صبر يوما آخر وام يرسا  
 أيضا فلما رأى ذلك أحد فأسه فلعله اليس البعد مرة ثانية على صورة  
 انسان وكثير من الناس من يشبه اليس في أمواله وأعماله ومجده  
 فقال للرجل الى أين تريد، يا هذا؟ قال أريد أن أقطع شجرة أريد من  
 دون الله فقال له اليس ههنا ههنا تالله أنك لا تطيق فعل ذلك ولن  
 تستطيع أبدا ذلك لأن خروجك أول مرة كان خالسا لله تعالى وكان غضبك  
 لله فلو اجتمع عليك أهل السموات والأرض ما ردوك وقد سحرك المال  
 فرددك عن الله وأما الآن يا هذا فانما كان خروجك انتقاما لنفسك حيث  
 لم تعبد المال الذى وعده شيطانك ولئن تقدمت الآن للشجرة لندة  
 عتفك فرجع الرجل خائبا خاسرا خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسر  
 المبين .

## (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطهما)

واعلم يا أخي أن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج الى خمسة أشياء :

أولها - العلم وبغير علم لا يحصل أمر ولا نهى وكفى بالعلم شرفا أن يسعى من لا يحسنه وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من نسب اليه فتيل له (انتك جاهل) وما أكثر انصاف العلماء وانصاف المتعلمين يريدون أن يفرضوا فرضا على الناس ليفهموا لغتهم ووعظهم وغاياتهم وماربهم فالعلم زاد العالم ولا بد له من راد وخير الزاد العلم والتقوى والله تعالى يقول (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) (١٢١) وسلاحه الكتب النافعة العممية والأدبية . اذا فالجاهل لا زاد له وهو ضعيف لا يعرف الأمر بالمعروف ولا يحسنه .

ثانيها - أن يقصد بوعظه وجه الله واخراج الجاهدين من الظلمات الى النور كما ذكر ذلك آتفا وأن يقصد اعزاز دين الله واعلام كلمته

ثالثها - الشفقة والرأفة بمن يعظهم بالدين والرفق والتودد . فان لرفق ما وضع في شيء الا زانه وما نزع من شيء الا شانه أفلا يعلم أولئك أن الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهرون لفرعون وبعثهما اليه واعظين مرشدين قال لهما (فقرلا له قولا ليناً) (١٢٢) .

رابعها - أن يكون الداعية صورا حلينا رابطط الجأش معتمدا على الله في أقواله وأفعاله فان الله جلت عظمته قال للقمان عليه الصلاة والسلام (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور)\* يعني أن ذلك مما أوحى الله عليك .

(١٢١) سورة - حرة الآية ١٦٧

(١٢٢) سورة طه الآية ٤٤ .

\* سورة لقمان الآية ١٧ .

حاسبها - أن يكون عاملا مما يامر به سمعها عما ينهى عنه خيالها  
يعبر به ولئلا يدخل تحت قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنهون  
أنفسكم)؟ (١٢٣) وتحت قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا  
تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) (١٢٤) يعني يا أيها  
الذين آمنوا الآية : أي ليس شيء أمعس إلى الله تعالى من أن ننسبوا  
بهذا الوصف برلت في حق من قال لو علمنا أحب الأعمال إلى الله  
ليبدلنا فيه أموالنا وأنفسنا وروى أسس بن مالك رضي الله تعالى عنهم  
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (رأيت ليلة أسري بي إلى السماء  
رجالا نفر من شقاهم بالمقاريض فقلت من هؤلاء ما حزين ؟ قال حظاء  
أمتك الذين كانوا يأمرور الناس بالبر ويسبون أنفسهم وهم يتقون  
الكتب أهلا يعقلون يعني أنهم يتلون كتاب الله ولا يحملون به منه .

وروي بإسناد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (اسم اليوم على  
بينة من ركبكم على بيان وأصبح من ركبكم قد بين الله جل وعلا لكم طريقكم  
تظهر فيكم السكرتان سكرة العيش (بمعنى حب الحياة) وسكرة الجهل  
فأنتم اليوم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في سبيل الله  
وستحولون عن ذلك إذا فشا فيكم حب الدنيا فلا تأمرون بالمعروف ولا  
تنهون عن المنكر . وتجاهدون في غير سبيل الله والثائمون يومئذ بالكتاب  
سرا وعلانية كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وعن قيس بن  
أبي حازم قال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول (إنكم  
تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها) (يا أيها الذين آمنوا عليكم  
أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم  
بما كنتم تعملون)\* - واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي لا يغيرونها إلا أوشك أن يحسمهم  
الله تعالى بعقاب من عنده) وفي رواية (منه) .

(١٢٣) سورة انفرة الآية ٤٤

(١٢٤) سورة نصف الآية ٢

\* سورة المائدة الآية ١٠٥

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال :  
(ليس ذا زمان ذلك ولكن اذا كثرت أهواؤهم وألفوا الجدل فعلى كل  
امريء نفسه جام تأويلها أي على كل انسان داع الى الله أن يزم نفسه  
وعليه بخاصة نفسه .

### تكملة ضرورة معرفة الواعظ ما نزل من القرآن بمكة والمدينة

قال الفقيه نصر محمد السمرقندي رضي الله عنه روى عبد الرزاق  
عن معمر عن قتادة قال (نزل من القرآن بالمدينة البقرة وآل عمران  
والنساء والمائدة والأنعام ، والأنفال ، والتوبة والرعد والنحل ، والحج  
والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والعنكبوت والحديد ،  
والمجادلة والحشر ، والقتال ، والمتعنة ، والصف ، والجمعة ،  
والمناقصون والنفاين ، والطلاق ، والحریم ، ولم يكن الذين كفروا  
وإذا جام نصر الله ، وقل هو الله أحد والمعوذتان والفلق والناس .  
ونزل سائر السور بمكة المكرمة وقال بعض علماء التفسير ست آيات  
من سورة الأنعام وبعض آيات من النحل وبعض من بني اسرائيل  
(الاسرام) وبعض آيات من سورة القصص وبعض آيات من سورة هل أتى على  
الانسان ، وآخر سورة الشعراء ، وسورة الماديات مدنية وقال مجاهد  
فاتحة الكتاب نزلت بالمدينة ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما فاتحة  
الكتاب نزلت بمكة وهذه رواية أبي صالح .

### لامعة :

وهنا لامعة لا بد من اشراقها وبيانها للوعاظ والمرشدين بعضهم  
يهجم هجوما كاسحا على تفسير الايات القرآنية ان المقام جد خطير  
فتراه يسارع الى تفسير الآية على ما يبدو ويروق له ليقال عنه بأنه  
عصري يجاري الزمن والعصر مع أنه كالذي يبني قصرا ويهدم مصر  
ألا يرى هذا المرشد على حسب رعه أن أبا بكر الصديق رضي الله  
عنه مع حلالة قدره ومكانة قرنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم



ويعرفته مسامح ومسحوح والمحكم المنصاه والمنطوق والمنهوم عنه .  
 سئل عن قوله تعالى ( فأكبه وأبأ )<sup>١٢٥</sup> قال لا الأثر عن نفسي ولا السماء  
 نفسي من كنت أقول في الغد شيئاً ربي ( هذا هو أبو بكر السديق  
 رضي الله عنه وكره ابن الجوزي رضي الله عنه مع حلاله لئلا يرد مكانه  
 في التفسير ولكثره خشية من الله تعالى إذا جلس يدرس في الأهرار للتفسير  
 تحول عن ذكره وحرج إلى ( صحن الأهرار ) ( ساحته المعروفة ) خشية  
 أن يجر عليه السقف إذا قال قولاً مخالفاً لحساب الله .

### أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعنا يا جريس الجامع

فالعلم ما حي يحتاج إلى حسيبة من الله ( ذلك أحد بحشي الله من  
 عباده العلماء )<sup>١٢٦</sup> ( ولم حاش مقام ربنا حشاً )<sup>١٢٧</sup> فإن هي العنسية  
 ما نحن هالاب العلم اليوم ؟ رزقنا الله وإياكم العنسية منه والمراقبة له  
 بحق وصدق وإخلاص .

وهنا كلمة على سبيل الترويح عن النفس كذا ( سئل أحد المشايخ  
 منذ زمن بعيد وكان يدرس للناس في مكان حافل لا يعرفه الناس من  
 قبل يا أستاذ لم لم يذكر الله البسملة في أول سورة ( براءة ) كما هي السور  
 فاطرق المسئول رأسه قليلاً وأجاب وليه لم يجب . ( هذا نسيان من  
 الذين طبعوا المصاحف أو سيار من حميريل . وهنا ضحك الناس وبعادت  
 أصواتهم وتركوا مجلسه وقالوا هذا ليس بعالم سألته تعالى أن يسترنا  
 ولا يفضحنا وأن يعلمنا ما جهلناه .

أما الكلام في سورة براءة . فقد أحلف المفسرون في غنم ذكر  
 البسملة ( بسم الله الرحمن الرحيم ) في أول هذه السورة فقد قال

- (١٢٥) سورة بقره الآية ٢٦
- (١٢٦) سورة فاطر الآية ٢٨
- (١٢٧) سورة الرحمن الآية ٢٦

بعضهم كان النبي عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه القرآن أملاه على كاتب يكتبه (معن يعرف الكتابة) فلما أملى عليه سورة براءة نسي الكاتب كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) فبقيت هكذا بغير بسملة ، وقال بعضهم وهو الصحيح سورة براءة نزلت لنقض العهد الذي كان بين المسلمين وبين كفار مكة من اليهود وقتلة الأنبياء والمرسلين ، فلم يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) لأن في كتابة (بسم الله) يكون أماناً لهم ولا قتال فيهم فتركوا كتابتها لكيلا يكون أماناً وأصح الأقاويل ما ذكره المقيي السمرقندي رحمه الله ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال (سألت عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه عن ذلك فقال سورة الأنفال نزلت أول ما قدم النبي عليه الصلاة والسلام المدينة وسورة التوبة نزلت آخر القرآن وقصتهما يشبه بعضهما بعضاً ، ولم يبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتبه علينا أمرهما أنهما سورتان أم لا ؟ ففصنا بينهما وتركنا كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) ولكن روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه سئل عن ذلك فقال (لأنها نزلت بالسيف) يعني لنقض العهد .

### « عظة هامة »

لا ينبغي لعالم عامل أن يستنكف عن الاستماع من عالم دونه في العلم أو في المنزلة أو في المكانة إذ أن ذلك لا ينبغي عن العمل بالعلم وعليه أن يستمع ممن هو فوقه ليزداد علماً وإيماناً ويقيناً ، وهكذا كان حال العلماء الأولين كانوا قوة في وحدة متكاملة يرجعون إلى بعضهم البعض وهم لا يأنفون ولا يستكبرون همهم الوصول إلى حق وغاية حق ووجهتهم الحكمة والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها لقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على أبي بن كعب فتكلم الناس في ذلك فقال بعضهم انما قرأ عليه القرآن ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة ، وقال بعضهم انما قرأ

عليه لا ر أبي بن كعب كان امرع احدا لالعاط النبي صلى الله عليه وسلم من غيره . فراد النبي عليه الصلاة والسلام بقرءته عليه أن يأخذ أبي بن كعب ألعاط رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقر كما سمع منه ويعلم غيره . وعن أسس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب (إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال أبي (الله سماعي) قال صلى الله عليه وسلم (عم) فسكى أبي بن كعب ويروي (أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ عليه (لم يكن الدين كقرءوا) وقال عليه الصلاة والسلام لأبي بن كعب (إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عذبتكم لم يكن الدين كقرءوا) الحديث أما يكونه رضي الله عنه فكاء فرح وسرور واستصغار لنفسه من ناهيه لهذه النعمة واعطائه هذه الميزة والنعمة فيها من وجهين أحدهما لكونه مخصصا عليه بعبه ، وللهذا قال (وسمائي رضي) "معناه بقر على تعيين اسمي أو قل (أقرأ على واحد من أصحابك) قال بل (سمائك) فترايت العمام واللاء .

المقدمة الثامنة . قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد الأمة وسيد القراء ويالها من منقبة عظيمة له لم يشاركه فيها أحد من الناس وقيل إنما سكى أبي حوقا من قصوره ونقصه في شكر ونادية واجب هذه النعمة التي أنعم الله عليه بها .

وأما تخصيصه بهذه السورة بالقراءة فلاها من قصار السور ومع وجازتها جامعة لأصول وقواعد ومهمات ، وكان الحال يقضي الاختصار .

وأما الحكمة في أمره تعالى بالقراءة على (أبي بن كعب) فهو أن يتعلم أبي العاطه وصيغة أدائه ، ومواضع الوقوف وصيغ النعم لأن الرسول عليه الصلاة والسلام تلقاها من جبريل السغير الأمين وجبريل تلقاها عن رب العزة جل وعلا ولينعلم أبي صيغة النعم فإن نعمات القرآن على أسلوب ألفه الشرع وقدره وقرره بخلاف ما سواء من الأنعام المستعملة

في غيره التي تسير مع الايقاعات صعودا ونزولا ، ولكل ضرب من النغم أثر مخصص في النفوس ، فكانت القراءة عليه ليعلمه لا ليتعلم الرسول منه ، وقيل قرأ الرسول على أبي ليبي للناس عرض القرآن على حفظه ابرعين فيه المجريين لأدائه وليبين لهم لزوم التواضع في أخذ الانسان القرآن والعلم وغيرهما من العلوم الشرعية من أهلها وان كانوا دونه في السبب والدين والفضيلة والمرتبة والشهرة وغير ذلك وتلقي العلم من أهل العلم واستماعه من أهله أثر كبير جليل في النفوس يسعوا الى خفض الجناح للمؤمنين والتواضع للمسلمين .

تواضع اذا ما نلت في الناس رفعة  
فان رفيع القوم من يتواضع  
وقد قيل :

اذا شئت أن تزداد قدرا ورفعة  
فلن وتواضع واترك الكبر والعجبا

قيل لعبد الله بن المبارك رضي الله عنه : بم نلت هذا العلم ؟ قال :  
(بسان سؤال وقلب عقول) -

وقيل لأبي حنيفة النعمان رضي الله عنه كيف وصلت الى ما وصلت اليه من العلم والفقه ؟ قال (ما استنكفت عن المسألة متى كنت محتاجا اليها) . وقيل الحكمة في أمره تعالى بالقراءة على أبي بن كعب لينبه الناس على فضيلة أبي في ذلك ويحثهم على الأخذ عنه وتقديمه في ذلك وكان أبي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم رأسا واماما مقصودا في ذلك ومشهورا وكان قدوة صالحة في كتاب الله وترتيله وقراءاته وآياته -

### « أسباب النزول »

على كل داعية ومرشد وموجه ان كان له تأهل وقدرة وطاقات على تفسير بعض آيات الله أن يكون واسع الاطلاع في التفسير وآلاته من

علوم اللغة العربية والملاعبة بشرط أن يكون مستوعبا للتوحيد  
وتاريخ الإسلام أم من كان حلواً من الآلات فلا يستطيع أن يقوم  
بالمهمات\*\* وعنه قيل كل شيء من يختار الآلة التي سطوي على الأحكام  
ويذكر أسباب ردولها وكذلك يعمل في الحديث الذي اشترط بعض أئمة  
المسقة والحديث بحويده وذلك تلبس به من العلماء الأساسيين شروط  
و داب خاصه مرجع إليها في محلها عند الحاجة إليها فكبر من سعة الوعظ  
والإرشاد من يهمل هذه الدواحي ولا يلتفت لها بالا فلا يفيد ولا يجيب  
ولا يثمر .

### « سبب تأليف هذا الكتاب وأدلة ذلك »

أود أن أسمرمي اهتمام حملة العلم وحملة الأقلام وقادة الفكر إلى  
أن العلم لا يتحقق لدى رعمة إلا إذا أراد الله له ذلك والا إذا جعله من  
حملة رسالة ربه ولا بد لهذا العلم من حشبة ومراقبة وتواضع وبلغه  
يستعني بها عن الناس فلا يمد يده بل يمد رجليه شامخاً معتمداً على ربه  
ولو قلت ذات الله أن العلم يتطلب عمه وسة صالحة والرسول صلى  
الله عليه وسلم يقول (من يرد الله به خيراً يمهه في الدين) وهذا العلم  
لا يحصل إلا بحلكتي الاستحصال والاستحصار وكتاهما لا تحصلا  
لطالب علم إلا إذا مارس العلم ودأب على دراسته منذ بدايته وحادثة  
سنه ليكون ذلك مؤسسا له في حياته وبعد مماته إذا كان علما يقتفع به  
وقد قيل :

من رام العلم وذاكره      حسنت دينه وأخرته  
فسأدم للعلم مذاكره      فحياة العلم مذاكرته  
فكتابك يا أخي هو المجلس الأيسر وعلمك يا أخي هو رفيق  
حياتك وسلواتك في حلواتك وجلواتك لا سيما في مثل هذا الزمان الذي  
قل فيه وفاء الأقران والله در من قال :

أمر مكان في الدنيا مرج ما يبع

وخير مجلس في الزمان كتاب

\* أي لافقا .

\*\* ومن أراد أن يرداد اجبالا وبقسا فليرجع إلى الفتاوى الحديثة لابن حجر الميمني .

أكد أيها الأخ : أن هذا العلم لا يهدي لعاص ولا يصل الى جوف العاصي واذا وصل كان حجة على حامله يوم القيامة والله در الامام الشافعي رضي الله عنه اذ قال :

شكوت الى وكيع سوء حفظي  
وأعلمني بأن العلم نسور  
فأرشدني الى ترك المعاصي  
ونور الله لا يهدي لعاصي

وتأكد تماما أن هذا العلم لا ينال بالثرثرة والتباهي بالري والمنطق والفلسفة . يقول الله تعالى لأحد رسله ( يا يحيى خذ الكتاب بقوة ) (١٢٨) أي بعد واجتهاد ذلك لأن العلم ان أعطيته كذلك أعطاك بعضه وان أعطيته بعضك لم يعطك شيئا وبالجملة فواجب الداعي نراة النفس عن شبه المكاسب الدنيوية والاكتفاء بالميسور مما قسم الله من هذه الحياة الدنيا والترفع عن تلك المآرب والمطالب فان شبه المتكسب وهو المتكف والكسب لو كان عنده ما يكفيه كان اثما ، وكذلك الطلب دل والأجر أجدر والزم للداعي من الاثم الذي ينتهي عن التسبب به وما أجمل ما قال علي بن عبد العزيز الجرجاني قاضي القضاة حينما رآه الناس مترفعا عن الدنيا والخسائس متواضعا في غير مذلة ساعيا في الحياة من غير تطرف ولا جشع ولا حرص ولا طمع قال رحمه الله :

يقولون لي فيك انقباض وانما  
أرى الناس من داناهم هان عندهم  
ولم أقض حق العلم ان كان كلما  
وما كل برق لاح لي يستقرني  
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى  
أنهها من بعض ما لا يشينها  
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي  
أشقى به فرسا وأجنيه ذلة  
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم  
ولكن أهاتوه فهان ودنسوا

رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما  
ومن أكرمته عزة النفس أكرما  
بدا طمع صيرته لي سلما  
ولا كل من لاقيت أرضاه منكما  
ولكن نفس الحر تحتمل الظما  
مخافة أقوال العدا فيم أولما  
لأخدم من لاقيت لكن لأخدمما  
إذا فاتباغ الجهل قد كان أحزما  
ولو عظموه في النفوس لعظمما  
محياء بالأطماع حتى تجهما

علي أن العلم عوض من كل مدنة ومع من كل شهوة ومن كان  
صادق اليه في طلب العلم لم يكر له همة فيما بعد من الله . نسأل الله  
الكريم أن يغنيننا بفضلته عن سواه .

والداعية المتأمل لا ينبغي من وراء علمه إلا أجرا ومثوبة عند الله  
وعليه أن يعمل جهدا في الحياة من أجله من جهوده وعرق جبينه .

وقالوا توصل بالخصوع إلى العلى وما علموا أن الخصوع هو العثر  
ويبني ويبن المال شدة حرما علي العلى يعني الأية والذهر  
إذا قيل هذا اليسر أصرت دومة مواقف خير من وقوفي بها العسر

وقبل لأحسهم تطلب العلم وليس في حيك درهم تنفقه فقال من  
أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا  
فعليه بالعلم ثم أنشد :

ولست بنظار إلى جانب العسى إذا كانت العلية في جانب الفقر  
وقال غيره :

كذا المعالي إذا ما دمت تدركها فاعبر إليها على جسر من الخشب  
وقال آخر :

لا نحسب المحد سمرا أب اكبه أن تطلع المحد حتى تدقق الصغير  
فالعلم لا ينال بالحرق والكرباء والترقب من الوثر لا ينال ولا  
يحصل إلا بعد الدرس والبحث والنوم على الحصى لا ينال هذا العلم  
بالمياثر والتماهي والتفاخر ، لا ينال إلا بقتل البحث وبقرة والاستعانة  
بالأقلام والمعابر :

سهرى لتقيح العلوم الدلي من وصل عانية وطيب عناق  
وتمايلي طربا لحل عوصة أحلى وأشهى من مدامة ساقى

فالعقل السليم الصافي يؤمن بهذا ويحرص عليه والعكس بالعكس  
ما وهب الله لأمريء هبة أفضل من عقله ومن أدبه  
هما حياة الفتى فان فقدا فان فقد الحياة أجمل به

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انني اسمع الحديث ولا أحفظه سريعا ولا أعيه فقال له (استعن بيمينك) والمراد من ذلك الحث والحرص على كتابة ما يلقي اليه من العلم فانه ادعى للحفظ وأبلغ في الفهم \* .

أما أسباب تأليف هذا الكتاب هي انني لما ألحت على وزارة الأوقاف أيام وزيرها الدكتور اسحق وكنت وكيلًا للمفتي ، ألحت علي بتعييني مستشارًا دينيًا عاما لشؤون الوعظ والارشاد ومفتشا عاما للمدارس وخطباء وأئمة مساجد المملكة سيرت عور بعض الخطب والمواعظ والدروس في المساجد فلم أجد لها طعما ولا لذة ولا لونا كلها من الأوراق لا من الأذواق . والواقع مع أنني قبلت هذه الوظيفة على كره مني لأنني كنت أخشى العواقب لأمر من عادة الأوقاف عدم قبول النصائح \* .

إذا كنت في كل الأمور معاتبها صديقك لم تنق الذي لا تعاتبه  
فمشر ماجدا أوصل أخاك فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه  
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه  
وأما الطرف الثاني ممن يعترضون ويهدمون ولا يبنون وينتقدون  
وياليتهم ينتقدون انتقادا بناء محكما سليما ؟؟؟

وكما قيل :

ثمانون بسان لا يساوون هادما فكيف بسان خنفه ألف هادم  
وكما قيل :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وعيرك يهدم  
عن العبسي عن أبيه قال : تبني معاوية بالأبطح مجلسا فجنس عليه  
ومعه ابنه (قرظلة) فاذا هو بجماعة على رجال لهم ، وإذا شاب منهم  
ينشد :

من يساجلني يساجل ماجدا يملا الدلو الى عقد الكرب

٢٤ هذا الحديث أخرجه الترمذي في العلم من جملة من اسى هريرة روى الله عنه .



قال معاوية بن هذيل قالوا عبد الله بن جعد قال حلوا له الطريق .  
ثم سار فدا هو جماعة فادا بهم رجل يسأل فيقال له (ربيت قبل أن  
أخلق وحلقت قبل أن أرمي يسألونه عن أشياء أشكلت عليهم في لباسك  
الحج وقالوا له هل هناك بريد يبر الرمي والدبح والخلق ؟ فجاب  
كلا عما يسأل وقال (لا أدري عما يعهل) فسأل معاوية عن الرجل  
المسؤول في هذه الحلقة ؟ فقل له هذا عبد الله بن عمر فالتفت الى ابنه  
(قرظة) وقال هذا وأبيك يا قرظة الشرف هذا والله شرف الدنيا  
والدين ، قال ابن الوردي :

أطلب العلم ولا تكسل فمسا أبعاد العورات عن أهل الكسل  
في إزدياد العلم إزعام المدا ، وجمال العلم إصلاح العمل  
لا تقل قد دمت أربابا كل من سار على الدرب وصل

ليتك يا أخي ترى وتسمع وتستقصي : ليتك تعرف وتعرف طلبنا  
العلم لير الله فاسي أن يكون الآلة لك ترى أنهم طلبوا العلم اليوم رغبة  
وانهماكا وتكالبا على الدنيا حرصا على العاء والألقاب لينالوا عرضا  
فانيا من الحياة الدنيا وما هي إلا متاع العرور أعادنا الله من شرور  
أنفسنا وسيئات أعمالنا (اللهم أعنا بالعلم ورينا بالحلم وأكرمنا  
بالتقوى وجمنا بالعافية) (اللهم علما ما يفيقنا وانفعنا بما علمتنا  
ورزقنا علما) (اللهم اني أسالك علما نافعا وقلبا حاشعا وبورا ساطعا  
ورزقا واسعا وشعاعا من كل داء وأسالك العسى عن شرار خلقتك اللهم  
اجعلنا ممن علم فعمل وعدل فامس وأحسن الى من أساء اليه فهو بالخير  
واسعادة والمغفرة قمن) والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي  
الأمي وعلى آله وأصحابه والتابعين الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .

### وهنا لاحقة هامة

ومن نصب نفسه للناس اماما في الدين فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه  
رتقويمها في السيرة والطعمة والرأي واللفظ والاخدا .

ومعنى الطعمة : أي وجه المكسب ، يقال فلان عفيف الطعمة ، أي نقي المكسب حلاله ، ومعنى الاخذان : أي الأصدقاء والخلاص حتى لا يستضعف صديقا ولا خدنا .

كما قيل :

يا مريض الجفون عذبت قلبا      كان قبل الهوى مريضا سويا  
لا تحارب بناظريك قوادي      فصميفان يفلبان قويا

عندئذ يكون تعليمه بسيرته ، ابلغ من تعليمه بلسانه . فانه كما أن كلام الحكمة يونق الاستماع : أي يعجبها ويشفيها ، فكذلك عمل الحكمة تروق منه العيون والقلوب .

ومعلم نفسه ومؤديها أحق بالاجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤديهم .

### نصيحة للمستمع

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام . ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى ينقضي حديثه ، وقلة التلفت الى الجواب ، والاقبال بانوجه والنظر الى المتكلم والوعي . ولا تستعجل بالاجابة قبل أن يتم المتكلم حديثه .

لذا شرعت في اتمام هذا العمل وانجازه ، فقد تحمل مؤلفي هذا بعون الله وتوفيقه ما يقرب من عامين رغم ما لاقيته من عقبات وصعوبات في السبعينيات ولكن هذا الكتاب لا يستغنى عنه مريد الدعوة الى الله وهو جليس الدعاة والمرشدين وخلاصة وزبدة ما في الكتاب والسنة وأقوال العلماء العاملين .

هذا وبفضل الله وكرمه ومعونته قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب الجامع لما لا بد منه لكل داع وطالب ومرشد المؤيد بالآيات وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وأثار العلماء وحكمة العلماء وفصاحة الفصحام وبلاغة البلغاء المشتمل على مهمات مسائل الدنيا والدين التي يجب على

كن عاقل خالم دراسها ومعرفها ، التمسك بها وبني هدا الكتاب في  
 التذيق والطلع ان شاء الله تعالى كتاب الحبيب المبررة التي ألفتها في  
 المسجد الأقصى المبارك والتي ألفها في المسجد الحسيني الكبير والتي  
 ألفت في المسجد الآخرى من المملكة وحارجه وفيها بعض الخطب  
 المبرجة والمحدولة المسجلة الواجبة الكافية لكل راعى في العلم لكل من  
 يحتم ومعرف لكل من يحسن السيرة بلا المولى جل وعلا أن يعسر لي ما  
 رى به القوم أو كتب به القوم ها جميع النراء والكاترين والمصلين  
 يعرفون طوره في الخاصة وما أصابني في استشهاده لدى الشهداء من العالمين  
 سيد السلام ومحب أمين وما أصابني في استشهاده أحي وأحيهم المبرير  
 السيد محمد محمد محمد رحمه الله جميعا . ان الناس جميعا يعرفون طوره في  
 وما أصابني وكفني ما أصابني من بهب وسلب بسبي ومكسني التي ريتهم  
 كما أرى بي اولادي وكفى ما أصابني من بهب وسلب لبستي في جيل الحسين  
 في بيت ابو عمارة الذركسي والاتباء على ما قد من أسامة عياشي  
 وأهل بيته في بيروت للمعارة والاسماء ولم بهم موضوعي أحد لا من  
 الدولة ولا من المؤسسات المدنية والحمد لله الذي لم يعوجبي لأحد من شرار  
 حقه ذلك في حوادث السنة الموسعة المؤلفة . وعلى كل والكمال لله والعصمة  
 برسوله وقد كان الصراع من تأليف هذا الكتاب يوم الخميس الواقع في  
 الرابع عشر من شوال سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من هجرة  
 سيد الأنام صلى الله عليه وسلم وفق اليوم الثامن من تشرين الثاني  
 لسنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية . والحمد لله رب العالمين  
 أولا وأخرا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه  
 وسلم تسليما كثيرا .

## فائدة وبيان وتوجيه لمن أراد أن يكون

### خطيبا وواعظا وداعيا

#### ( الوعظ في القرن السادس وتقدير الأمراء له )

كان بودي أن تكون هذه الملاحظات في صدر الكتاب لكن مسودتها ويا للأسف فقدت حتى وجدناها في نهاية طبع الكتاب من بين أخواتها وعلى كل فالعبرة بالخواتيم نسأل الله حسنها .

كانت مدينة السلام في العصور الماضية (بغداد) تمتاز على غيرها من مدن العالم الاسلامي بكثرة فقهاءها المحدثين ووعاظها المذكرين وكان لهم في طريقة الوعظ والتذكير ومداومة التنبية والتبصير ، والمثابرة على الانذار المخوف والتعدير . مقامات ، تستنزل لهم من الله واسع الرحمة وجريل الاحسان وتمنع القارعة الصماء\* أن تحل بدارهم مقامات خللت لهم أحسن الذكرى وجميل الأعدوة قال أبو العسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي من أدياء القرن السادس الهجري في رحلته ما حصله فأول من شاهدنا محلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القرويني رئيس الشافعية وفقه المدرسة النظامية والمشار اليه في التقدم في العلوم حضرنا محلسه بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصر من يوم الجمعة فصعد المنبر وأخذ القراء المشهورون المعترف لهم بالفضل في القراءة على كراسي موضوعة فترقوا الناس وشوقهم وأتوا بتلاحين معجبة ونعمات معركة للقلوب مثيرة للأفتدة وأتوا على ذكر القراءات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اندفع الامام المذكور وخطب خطبة مؤثرة خطبة سكون ووقار وتصرف في عدة فنون من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل ، وإيراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجويده واثقانه على مذهب من رغب في تجويد الحديث كتجويد القرآن وأتى على معاني الأحاديث بحذافيرها ثم وجهت اليه

امسائل من كل حاسب فأجاب عنها بأسهل وأعجاب . ثم دعت إليه عدة رقاع (أوراق فيها أسئلة) فجعل يجيب عن كل مسألة من امسائل العلية والمقهييه وأعادها لساتيها بعد أن فرغ من مطالعتها والإجابة عنها فبرل من على المسر وافترق الجمع وكان مجلسه محسن علم ووعظ وودر هسا ليد طهر . فيه المركات والسكنة وارسلت فيه العبرات لا سيما في آخره فانه سرت حنيا وعطه الى السوس حتى أطارتها حشوعا ومجرتها دسوعا وبادر الناسون وقوعا على يده .

أقول وقال أبو الحسين محمد بن محمد بن حمير الأندلسي الذي قسم ذكره اسما شاهدا وشاهدا محالس كثيرة هامة من محالس العلم سها مجلس العلامة الفقيه الكبير والامام الأواحد جمال الدين أبي المصائل وكذلك صعد المسر وجلس القراء أمامه كالمادة وقد قرا القراء نحو تسع آيات من سور مختلفات سطلع مجلسه الزهراء القراء وأتى بأوائل الايات في أثنائها منتطمان وجعل مجلسه على فقرة آخر ايمة منها في الترتيب الى ان أكملها وكانت الآية (الله الذي جعل لكم الليل لئلا تسكنوا فيه والنهار مسجرا ان الله لدو فصص على الناس ولكن أكث الناس لا يشكرون) . وسار كماداته في وعظه وارشاده باخلاصه وبلائه\* فآرست واسها العيون وأدت النعوس مر شرقها المكنون وتطارح الناس عليه نادمين تائسين فطاشت الألباب واستولى عليها الوله والذهول واهتزت القلوب ولم تحد للصبر سبيلا ثم أتى أثناء خطبته على آيات من الشعر النسيب ممرحة بالتشويق بديعة التدقيق تملأ القلوب خشية وزهدا وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام وأصابيت المقاتل سها ذلك الكلام .

أين فؤادي أذابه الوجد      وأين قلبي فما صحا بعسد  
يا سعد ردني جوى يذكرهم      بالله قل لي قديت يا سعد

\* وحسب الكاس أول مسودتها وسورة الدراب وقويه في الراس .

\* المزمع الآية (٦٦) أبل نلاء حسنا اندج والحرب .

ولم يزل يردد هذين البيتين والانفعال قد أثر فيه والبكاء كاد  
يملئه من الكلام فنزل عن المنبر دهشا وقد أطار القلوب وجلا وترك  
الناس على أحر من الجمر يشيعونه بالدموع ، وهكذا قال أبو الحسين  
محمد بن أحمد شاهدنا وعانينا من العلماء عددا لا يحصى ولا  
يستقصى .

### ( كيف تكون داعيا مثاليا )

أخي العالم أخي الداعية أخي المرشد أخي الموجه أخي الحاكم أخي  
المسؤول أخي الضابط أخي الجندي مما مر بك في هذا الكتاب عرفت  
أن الدعوة إلى الله في الأصل هي عمل الأنبياء والمرسلين صدوات الله  
وسلامه عليهم أجمعين . وبما أن السادة العلماء العاملين هم ورثة  
الأنبياء في هذا الأمر الخطير وبوابهم فهم أمناء الله تعالى على شرعه  
الحكيم وهم الحافظون لدينه القويم ، والقائمون على حدود الله  
والعارفون بما يجب له تعالى وما يستحيل في حقه وما يجوز عليه من  
كمال وتنزيه .

لذلك كانوا أئمة الناس وقادة الخلق يسرون بهم نحو السعادة بما  
يعلمونهم من أمور دينهم ودنياهم وبما يرشدونهم إليه من التحلي  
بالفضيلة والتخلي عن الرذيلة ، اعتقد الناس فيهم ذلك وأملوهم له  
فأحلوهم من أنفسهم محلا لم يبلغه سواهم من العالمين حتى نالوا من  
قلوبهم مكانة يحيطون عليها وربحوا منلة تصبو إليها نفوس ذوي  
الهمة القعساء والفضل السامي الأجل وناهيك بقوم إذا فعلوا لحظتهم  
العيون وإذا قالوا صفت إليهم الأذان وإذا أعطوا وعت ما قالوه القلوب  
إذا ما حرح من اللسان لا يحاوز الأذان وما خرج من القلوب وصل إلى  
القلوب وبور شاسع وقرق واسع بين الحالين نعم إذا حكمت ألسنتهم  
فهم مطمئح الأنظار وموضع الثقة والاعتبار والحجة البالغة والبرهان

القاطع والمو الطاع للناس أجمعين (ومن أحسن دعائهم دعا الى الله وعمل صالحا وقال انبي من المسلمين)\* دعا الى موحيده وطاعته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه ووجد الاسلام دين ومحنة\*\* -

حقا يا أحي ليس أحد أعظم شأنا وأكبر صلاحا من جسدك هذه الفصائل الثلاث فكان سو حسانا لله تعالى عارفا به عملا بالحق داعيا الى الله وما هم الا طمعة العاملين العاملين الدعاء الى الله عز وجل من ذوي القلوب الحية والايان الصادق والاحلاص الصحيح أن نحن المسيهون بالعباء ربا وتقمروا في الكلام وتستشفة البسار لله سبحانه الى ... طريقا فضلا عن طالب عمر الله لنا سوء أعمالنا .

### « ذكرى »

ولا ريب أن الله تعالى رسله سعادة الانسان في الدنيا والآخرة بالوقوف عند حدوده وامثال أوامره واجتناب ما نهى به وأنه السعادة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)\* وعسى أن البين أن السادة العلماء العاملين الحاشين من الله قد انفردوا بمهم الأوامر والنواهي ومنهم وحدهم يتعلمها سائر الناس وأنه قدس فيهم العلماء على حدود الله واتباعهم الأوامر وحنانهم المنهات يكون اسباب الأمانة واجتدائها فإذا سعادة الأمة في قبضة السادة العلماء صانعان من الناس اذا صلحا صديق الناس واذا فسدا فسد الناس العلماء والأمة معاً ، ومن هنا كانت وظيفتهم خطيرة جسيمة ومسؤوليتهم عظيمة ، وترداد وظيفتهم خطراً ومسؤوليتهم عظيماً اذا هم تصدوا للدعوة والارشاد ، لهذا وجب أن تتوافر في الداعي الى الله تعالى الصفات التي مر ذكرها هنا أعلاه .

✽ ٢٢ - حم السجدة ( فصلت )

الاجل اسئلة بكر لنون النسيه والطمعة في الصلوات والآية سحر ان الله يستفي عنداعية ان يكون صحيحا في دينه وعقيدته مهديا مستقيما عاملا بعباده ليكون الناس اليه اسكن والى قبول دعوته

أقرب

## « دعاء ورجاء وحمد وثناء »

أولا : فليعلم الداعي أن الله يستجيب الدعاء اذا كان مستوفيا للشروط كما جاء في الكتاب والسنة •

افتتاح الدعاء بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه لأن الدعاء اذا لم يقترن بهذين الشرطين لا سيما الصلاة والسلام على رسوله عليه الصلاة والسلام فهو محجوب عن الاجابة •

ثالثا : أن يكون كسب الداعي حلالا من عرق جبينه •

رابعا : أن يكون على ثقة ويقين بالاجابة •

خامسا : الدعاء مع الجماعة أفضل من العزلة والانفراد ، وارجع الى قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دمان) ، وقوله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) \* ، وارجع الى ما ذكره الامام النووي في المجموع في باب الدعاء وارجع الى الأذكار للنووي رضي الله عنه أيضا لتكوير على بصيرة من أمرك وهناك كتب أخرى فلنك الخيار في مراجعتها •

## « الدعاء »

ما أظن أن انسانا يترسم خطي منهج الدعاء العظيم ويتغلى الله عنه •  
لقد انتصر المسلمون الأولون وهم قلة وعزوا وقد كانوا أذلة أما نحن فكسبرنا ونحن الكثرة الكاثرة التي تعد بالملايين وبالألسف ، أما هؤلاء الأولون فلم يتحقق لهم النصر الا بعد أن وضعوا أنفسهم تحت رعاية ربهم وفي كنفه وحمايته فقادهم كما يشاء ، ووجههم كما يريد ،

---

✽ الآية الأولى من سورة البقرة والآية الثانية من سورة المؤمن •



فكم من عقبة نولا الله ما استطاعوا تديلبها وكم من حطوب وكوارث ودواهي فلولا الله ما استطاعوا النضاء عليها فهل يفهم مجتمعنا المسلم هذه الحقائق المشرقة وهل يعلم ان الله وحده هو القادر على أن يقود سفينة الأمة الاسلامية وسط هذا الحضم الراجر بالأحداث والأزراء .

إذا فليرفع أكفها بالدعاء ولتملأ قلوبها بالاحلاص والاسكان ولتتملأ أوقاتنا بالنصر والاسهال ولتصم الى الاعداد بالسلاح والعتاد قوة الروح التي ستمدها من الدعوات التي علينا أيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتب السنن الجامعة التي وعثها أمته وحشدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم حشد الجنود في معامته ومعاركه وأنت أيها المسلم نور بها قلبك وطهر بها صدرك واستمع بالله على بوثيق الصلة بينك وبين ربك الذي لا يصل من هداه ولا يحذل من نصره (وما النصر الا من عند الله) وادع بها لأحبيك تطهر القلب ودع أحائك بدعو بها لك .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم) وقال : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أعبر بعد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له) رواه مسلم وأحمد والترمذي .

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يا رسول الله . أدع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال يا سعد (أطلب مطعمك تكس مستجاب الدعوة) ومعنى هذا أن يتحرى المسلم تناول الحلال . وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (الدعاء يرفع البلاء) وقال إذا أراد الله بعبده خيرا ألهمه الدعاء .

## ملحوظات

( هؤلاء هم الذين يستجاب دعاؤهم )

- ١ - المضطر .
- ٢ - المظلوم ولو فاجرا .
- ٣ - الوالد على ولده .
- ٤ - الامام العادل .
- ٥ - الرجل الصالح .
- ٦ - الولد البار بوالديه .
- ٧ - الصائم حين يفطر .
- ٨ - المسلم لأخيه المسلم يظهر العيب ، وهي أسرع الدعوات اجابة .
- ٩ - المسلم مالم يدع بظلم أو قطيعة رحم .
- ١٠ - التائب من ذنبه .

## « كيفية الدعاء »

« أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله حمد الشاكرين والعاقبة للمتقين ، الحمد لله ذي الفضل العظيم ، أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك أو بعفوك من عقوبتك أعوذ بك منك أنت كما أثنت على نفسك لا أحصى ثناء عليك والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبدك ونيك ورسولك وعلى آله وصحبه أجمعين أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي اليها معادي واجعل الحياة ريادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر »

اللهم سي امك فعل الخير - ربك - ربك - ربك المساكين وار  
 تعمر لنا وارا اذن بشوم فتنا صوف من معومين واسنة حيت وحب  
 من يحبك وحب من يتبني الى حيا اللهم سي اعوذ بك من الهم  
 والحر والحدوث من الفجر والكسل واعوذ بك من الح والخل  
 واعوذ بك من عنة الدين وفقر الرجال اللهم اني اعوذ بك من الكسل  
 والهم والمعد ومن فتنة السر وعدب القبر ومن فتنة النار وعذاب  
 النار ومن فتنة الحب واعوذ بك من فتنة السقر واعوذ بك من  
 عذاب القبر واعوذ بك من فتنة النساء له حال اللهم سي اعوذ بك من  
 عقم لا يجمع ومن فدا لا يجتمع ومن عاب لا يجمع ومن يفسد لا يفسد  
 ومن يفسد لا يفسد ومن يفسد لا يفسد ومن يفسد لا يفسد اللهم اني  
 وزلها من ركاها الله وليا وملاها - اللهم صل على نبينا  
 من شهود في نبيك هذا الكتاب - اليه - اليه - اليه - اليه - اليه  
 حبيبنا ارحمنا اكرمنا لا يرفعنا ولا يرفعنا ولا يرفعنا ولا يرفعنا  
 كتاب لا يرفعنا ولا يرفعنا ولا يرفعنا ولا يرفعنا ولا يرفعنا  
 المتوحاة والي رجوع جميع من قرأه وحيا او من به من بعض الطوف  
 عن هرواسي لما اصبني في ايلول المشهور في السبعين وقد قدمت خذري  
 سدي اول الكتاب والعصمة لله وارسله المحصم صليوا الله وسلامه عليه  
 رعي اليه وصحبه اللهم احفظني بالاسلام فاما واسعظني بالاسلام قاعدا  
 وحافظني بالاسلام قائما ولا تشمت بي عدا ولا حاسدا اللهم سي  
 امك من كل خير حوائثه بيدك واعوذ بك من كل شر حوائثه بيدك -  
 وصلى الله على سيدنا محمد النبي الاخير وعلى آله وصحبه وسلم سبحان  
 ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين -  
 دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحصم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد  
 لله رب العالمين -

## المصادر العلمية الدينية والأدبية والاجتماعية التي رجعت إليها عند الحاجة\*

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - تفسير القرآن الكريم - عدة تفاسير .
- ٣ - أدب الدنيا والدين .
- ٤ - التاج الجامع لأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم .
- ٥ - مفتاح الخطابة والوعظ .
- ٦ - هداية المرشدين .
- ٧ - درة الناصحين .
- ٨ - مصبحة البرية .
- ٩ - مع الطيب .
- ١٠ - أدب الكاتب .
- ١١ - أدب الكتاب .
- ١٢ - زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم .
- ١٣ - جامع بيان العلم وفضله .
- ١٤ - من أخلاق العلماء .
- ١٥ - الشفاء .
- ١٦ - أطباق الذهب .
- ١٧ - أطواق الذهب .
- ١٨ - الأذكار - وفيها أدلة الأدعية .
- ١٩ - الرسالة القشيرية .
- ٢٠ - كشف الحفاء وإزالة الالباس .

✽ لشهرة هذه الكتب لم تذكر مؤلفيها .

- ٢١- كيف ندمو الأمم بعض فقرات - لأبي الأعلى المودودي \*
- ٢٢- شذرات من أقوال الدكتور عبد الحلیم محمود \*
- ٢٣- ایفاظد الهمم فی شرح الحكم \*
- ٢٤- بستان العارفین للنسیرقندی \*

#### کتاب اللغة

- ٢٥- لسان العرب \*
- ٢٦- القاموس المحيط \*
- ٢٧- المعجم الوسیط \*
- ٢٨- المصباح المیز \*
- ٢٩- مختار الصحاح \*
- والله علیم بذات الصدور \*

## تقريظ (١)

ولقد تفضل حضرة صاحب الساحة العلامة الشيخ ابراهيم القطان قاضي القضاة ورئيس العلماء في المملكة الاردنية الهاشمية بهذا التقريظ بعد اطلاعه على هذا الكتاب وما جاء فيه من أدلة وبراهين جزاه الله خير الجزاء .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين ، وصحبه الهداة المهتدين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد فقد خلق الله الانسان وركب فيه طبيعتين مختلفتين احدهما روحانية والأخرى مادية . فالأولى تنزع به الى الترفع من عالم المادة والتزده عن التورط في تبعاتها ، والسمو بالذات الى الدرجات العلى .

والثانية تدفعه الى النبط في شهواتها ، والتوسع في توفية حاجاتها ، والاشتغال بالماديات . واستخراج خيراتهما والانتفاع بها ، فهاتان الغريزتان تسامدان على بقاء الشخصية الانسانية وتكميلها واعدادها لخلافة الله في الأرض .

والانسان مضطر لأن يصيب من تلك المادة لحفظ وجوده في هذا العالم . ولا يغفل الروح ويتركها دون أن يعطيها نصيبها حتى تتوازن القوى في طبيعة الانسان ، ويميش حياة هادئة مطمئنة راضية .

جام الاسلام والعالم كله يقاسي من الظلم والظقيان والجهل ، فأرسي قواعده على العلم والعقل والنظر والفكر .

(١) يقال في اللغة مرط تشديد الراء فلاں لانا أي مدسه واثني عليه وقرط . لكتاب وصف محاسنه ومرايله وتعارضا للبح مدح كل واحد منهما صاحبه .

وأول ما فاج جبرين به النبي صلى الله عليه وسلم هو قوله تعالى  
 « اقرأ باسم ربك الذي خلق » فطلب منه أن يقرأ ويتعلم فل كل  
 شيء ثم كرر ذلك بقوله تعالى « اقرأ وربك الأكرم » الذي علم  
 بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » الآية الثالثة والرابعة والخامسة  
 من سورة العلق .

فصل أن يلقه الأيمان والمعرفة بالله طلب منه أن يقرأ ويتعلم . وجاء  
 الاسلام ديناً ومما وسطا يحتط للجسم فقد ردد روح حبها . « واسع  
 فيما آتاه الله إذا الآخرة ولا تسس نفسك من الدنيا وحس  
 كما أحسن الله لك ولا تسع الفساد في الارض ان الله لا يحب  
 المفسدين » (٧٧) القصص .

تكاد هذه الآية تكون دستوراً كاملاً للحياة في جميع متطلباتها .  
 فتحت بذلك مطالب الروح والعقل والجسد لأول مرة في تاريخ  
 البشرية . وجاءت تدلهم هذا الدين الحبيب مطبوعه طابع هذا  
 الشحي حتى في أقصى مراتب الرفعة لروحانية وأبعد الاشتغال في المادة .

فكل من عمل على جمع العباد ، وعمل لاحقاق الحق وارهائ  
 اساطيل ، أو سحر في علم يستفيد منه ويفيد غيره أو سهل لناس ما  
 جعلهم يتوفون الأمراض العنائة أو يسر عليهم طلب العلم لمعاشهم  
 ومعادهم . وكل عمل يخدم به دينه ومجتمعه ووطنه يعتبر هذا في شرع  
 الاسلام جهاداً في سبيل الله . وتقرب الى الله بأفضل ضروب العبادة .

هكذا فهم المسلمون الأولون مرامي الاسلام ومقاصده . فانهم  
 بعد أن تم تلبيح هذا الدين ، وانتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى  
 الرفيق الأعلى ، عكف بعضهم على تدارس كتاب الله . وبعضهم على  
 نشر سنة رسول الله ، وآخرون على جمع اللغة ، ورجال على تعميم  
 الدعوة الاسلامية في الأرض ، وتفر على النظر في علوم الاوائل وترجمة

كتبها ، وجماعة على التخصص في بعض فروع العلوم الخ . . . فكان أثر ذلك كله قيام دولة تمثل أرقى مدنية فاضلة اخت بين الدين والعقل والمادة والروح » وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (١٤٣) البقرة .

وكانت نهضة لم يشهد لها التاريخ مثيلا .

ونحن في هذا العصر أحوج ما نكون الى العودة الى ديننا الحنيف ، واحياء تعاليمه ، والسير على هداه ، فقد جرى الناس وراء المادة . وقل اهتمامهم بالروح ونسوا حفظهم من الدين . في غمرة هذه الحياة المادية وطمعائها فالحاجة ملحة الى الرجوع الى ديننا ، والعمل على غدام الروح واعطائها حقوقها ، لنعود الى مجدنا ، ونسترد أرضنا وكرامتنا ونرث الأرض كما أورثها الله أسلافنا .

وقد طلع علينا صديقنا فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عادل الشريف حفظه الله بكتاب جمل القدر ، يغذي الروح ، ويفيد الناس في دينهم وينتفع فيه الخطيب ، والواعظ ، والمدرس والطالب وكل من يحب أن يتوجه الى الله ، ويسير على درب الاسلام . وبين فيه حاجتنا الى دعوة عامة ، عن طريق الارشاد بالتتي هي أحسن ، « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » الآية (١٢٥) النحل .

وأن الاسلام حثنا على نشر الدعوة ، وارشاد الناس وبذلك كنا خير أمة اخرجت للناس كما قال تعالى : « كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » الآية (١١٠) آل عمران .

وبين كيف يكون التعاون على القيام بالدعوة وان على الناس ان يكون منهم طائفة تتفقه في الدين وتفرغ نفسها لتعليم الناس كما قال تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » الآية (١٢٢) التوبة .



هذا مع الإخلاص في العمل . وإن الدعوة تكون في اللسان والقلم .  
وبالتعليم ، مع بيان أدب الدعوة والداعي ويقول : « إذا كان أدب  
الخطاب يقوم على الرعاية في صور البلاغة فإن الطريق التي سنأتي  
عليها إنما تقوم محل نظر تطور في أحوال الجماعات أطوارا ودرس  
سنر الله في الحقيقة ، فنعرف كيف يوسس النفوس الحامجة ويدها إلى  
سواء السبيل » .

ومن ألطف الأشياء التي قالها « من الحكمة في الدعوة أن تحاطب  
بها الحاحل أو العاقل في حلوة ( أي فما بينك وبينه ) إصغاء للستر  
عليه ، ورغبة في حسن اصمائه إليك . فإن كثيرا من الناس من إذا  
التيب عليه النصيحة عناية أحذنه المرة بالاثم وثى عطسه عن  
الاستماع إليها والامثال بها » .

وبين في الكتاب المتطلب السامية في المجمع وكيفية الدعوة إليها ،  
وأتى بخصوص كثير . صحيحة السند وأمثلة عنية بالحكمة والموعظة  
الحسنة ، وأقوال سديدة من الأئمة والعلماء الصالحين . وبين كيف  
يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطهما .

وإن كتاب « السبراس الوهاج » كتاب مفيد في بابيه عني بما حوى  
من حكم ومواعظ وإرشاد « لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » . وإن  
هذا العمل نوع من الجهاد في سبيل الله .

فلأستاذ الفاضل مما الشكر . وله من الله الأجر .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

حسان في ٢٤ من شوال سنة ١٤٠٠هـ

الموافق ١٩٨٠/٩/٤

توقيع

إبراهيم القطان



## الفهرس

٢	المقدمة
١٢	ما هو واجب من لديه العلم
١٣	الدعوة والارشاد
١٤	حاجتنا الى دعوة وتوعية
١٩	منزلة الدعوة عند الله
٢٣	بيان هذا التأويل
٢٤	أنواع الدعوة
٢٤	النوع الأول
٢٤	النوع الثاني
٢٥	التعاون على القيام بالدعوة
٣٠	الناس في ادراك الحقائق مختلفون
٣٢	هل الدعوة الى الله تحتاج الى اخلاص
٣٤	صفات قادة في الدعوة والمرشدين
٣٦	وسائل الدعوة وطرقها وأهميتها
٣٨	كيف تكون خطيباً مرتجلاً
٤٠	آداب الداعي
٤٠	ادراك فتون الدعوة
٤٣	من أساليب الدعوة في خطبهم
٤٤	اعتراض الناس على الدعوة
٤٤	ما هي فائدة السباب في الجدل والخصومة ؟
٤٦	السياسة العملية في الدعوة
٤٧	المطالب السامية في المجتمع وكيفية الدعوة اليها



المؤلف

الشيخ محمد عادل الشريف

خريج الجامع الأزهر الشريف

نبذة عن

حياة المؤلف العملية

إن الشيخ محمد عادل الشريف مؤلف كتاب النبراس الوهاج كان بالإضافة إلى عمله أميناً للفتوى بالقدس عضواً في هيئة كبار العلماء بإرادة ملكية سنية من المغفور له الملك عبد الله بن الحسين . وبعد النزوح إلى عمان بعد حرب حزيران عين خطيباً للمسجد الحسيني الكبير في عمان ووكيلاً للمفتي العام ومستشاراً لوزارة الأوقاف بموجب كتاب صادر عن وزير الأوقاف اسحق الفرحان ثم نقل إلى دائرة قاضي القضاة وعين قاضياً شرعياً مستشاراً لمساحة قاضي القضاة بإرادة سنية من جلالة الملك الحسين المعظم ، علماً بأنه كان قبل التحاقه بالمحاكم الشرعية مرشحاً لتفويض الدين في الكلية العربية بالقدس في دائرة معارف فلسطين من قبل مفتش الدين آنذاك سماحة المرحوم الشيخ حسام الدين جار الله بعد تخرجه من الأزهر الشريف ، ثم أنه كان مديراً لمدرسة الفتح الإسلامية في الخليل ، وقد التحق بالمحاكم الشرعية في عهد الانتداب حتى كان رئيساً للمكتب ووكيلاً للقضاء في عدة محاكم شرعية شغلها آنذاك وفي الستينات كان مديراً ومؤسساً للمعهد العلمي الإسلامي في المسجد الأقصى المبارك في القدس مدة ست سنوات وهو على رأس عمله أميناً للفتوى وخطيباً ومدرساً للمسجد الأقصى وأيضاً في السنوات نفسها كان أستاذاً في كليات اللغة العربية في جامعة الرياض آل الشيخ ، وقد عاد في الستينات إلى دائرة قاضي القضاة سلك المحاكم الشرعية وهو الآن مدير ومؤسس دور الفقه والحديث في عمان - الخليل - وبيت حنينا - قضاء القدس وغزة وغيرها - وبالله التوفيق .

حاز منه على الشهادة العالمية وشهادة القسم العالي النظامي في الأزهر اللتين عودلتا من قبل مشيخة الأزهر بالشهادة العالمية المصرية المؤتة العالمية التي كانت أعلى شهادة في الأزهر وبالشهادة العالمية المصرية النظامية العالمية ، وهما تغولانه القيام بالقضاء الشرعي والإفتاء والوعظ والارشاد والخطابة ، وهي شهادات جامعية عالية ، وذلك بموجب قرار فضيلة شيخ الأزهر حسب القانون رقم ١٠٣ تاريخ ١٨ جمادى الأولى لسنة ١٣٩١ هـ ، وفق ١١ يوليو (تموز) لسنة ١٩٧١م وقرار الجامعة الأزهرية بموجب قرار أمين عام الجامعة تاريخ ١٥/٥/١٩٦٥م ٢

دقق الكتاب وروجع من قبل المؤلف

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ولا يجوز طبعها إلا بإذن منه

٢ ٢ ٢

٢ ٢

٢

السعر دهبشار واحد  
خدمة للمعلم والطلبة